





٢١

العملية الكبرى

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

١ ــ مهمة ناجحة ..

فى أحد أطراف مدينة بورسعيد .. وقف رجل داخل مخزن قديم ، يغص بالمئات من الصناديق الكرتونية الكبيرة ، المستخدمة فى تعبئة البضائع .

كان الرجل قلقًا ، وقد أمسك فى يده بحقيبة سوداء متوسطة الحجم ، ويتطلّع إلى الطريق من آن لآخر .. وبعد دقائق لاحت له من بعيد سيارة مقبلة على الطريق .

أخذت السيارة تقترب شيئًا فشيئًا ، حتى اجتاز سائقها مدخل المخزن ، ليوقفها بالداخل .. وأضاءت كشافات السيارة المخزن المظلم ، وهبط منها رجلان ، أحدهما قصير القامة ، يميل جسده إلى البدانة قليلًا .. أما الآخر فكان طويلًا نحيلًا .. يرتدى معطفًا أسود من الصوف الخالص ، وقبعة سوداء صغيرة .

وتقدم منهما الرجل صاحب الحقيبة قائلًا للرجل الطويل :

ـ هل أحضرت معك المبلغ المطلوب ؟

ردَّ عليه صاحب القبعة قائلًا :

ـ دَعْنى أولًا أطَّلع على بضاعتك .

قدم له الرجل الحقيبة قائلًا :

ـ لقد بذلت مجهودًا ضخمًا من أجل إحضار ما بداخلها .

فتح صاحب القبعة الحقيبة ، ليخرج منها عددًا من الخرائط والصور ، التى نشرها على مقدمة السيارة ، وأخذ يتفحَّصها بإمعان ، مستعينًا بمصباح كشفى صغير معه .

وبعد بضع دقائق طوى الخرائط ، وأعادها للحقيبة قائلًا :

ـ لقد كنت أمينًا معنا يا جنرال .. فبعض مما جاء بهذه الخرائط والصور يطابق ما توصَّلت إليه أجهزة مخابراتنا ، وسوف تتولَّى مخابراتنا مراجعة باقى ما ورد بها من تحديد لمواقعكم الدفاعية ومطاراتكم السرِّيَّة .

ثم أشار لزميله قائلًا :

ـ سلِّمه المطلوب ..

وقام الرجل الآخر بفتح باب السيارة ، وأخرج منها حقيبة أخرى ، سرعان ما فتحها ، ليخرج منها فجأة مدفعًا صغيرًا ، صوَّبه نحو الرجل الواقف فى مواجهتهما .

وابتسم صاحب القبعة قائلًا :

ـ لقد أدَّيت لنا خدمة عظيمة يا جنرال .. لكنَّها لابدَّ أن تظل خدمة سرِّيَّة للغاية .. والشىء الوحيد الذى يضمن لى ذلك هو أن تموت الآن ، حاملًا معك أسرار خيانتك ..

لكن قبل أن يطلق الرجل القصير نيران مدفعه ، فوجئ بطلقة نارية أصابت يده .. فانطلقت صرخة قوية من فم الرجل ، وسقط سلاحه على الأرض .. وبرز من أركان المخزن أربعة رجال مسلحين ، ليحيطوا بالرجال الثلاثة .. وقد صوَّبوا إليهم مسدساتهم .

صاح أحد الرجال الأربعة بصوت حادّ النبرات :

ـ ارفعوا أيديكم عاليًا .. ولا يتحرَّك أحدكم من مكانه ..

قال صاحب القبعة بدهشة وغضب :

ــ ما معنى ذلك ؟ .

أجابه الشخص الذى أحضر الحقيبة ، والابتسامة ترتسم على وجهه :

ــ معناه أن الخدمة لم تكن سرِّيَّة منذ البداية ، كما تخيَّلت يا عزيزى (جريفز) ، وأنك وقعت فى خطإٍ كبير ، عندما توهَّمت أنه من الممكن أن أخون وطنى .

قال له (جريفز) ، وهو يضغط على أسنانه بغيظ :

ــ وأنت أيضًا تخطئ إذا تصوَّرْت أنه من الممكن أن أستسلم بسهولة .

ثم اندفع فجأة خلف الرجل الواقف فى مواجهته ، مصوِّبًا المسدس إلى رأسه فى حركة سريعة مباغتة ، قائلًا للرجال المحيطين بهم فى لهجة يغلب عليها نبرة التهديد :

ــ سأعدّ حتى ثلاثة لتلقوا بمسدَّساتكم وتخلوا المكان فورًا ، إذا كنتم حريصين على حياة صاحبكم ..

ثم صاح فى زميله قائلًا :

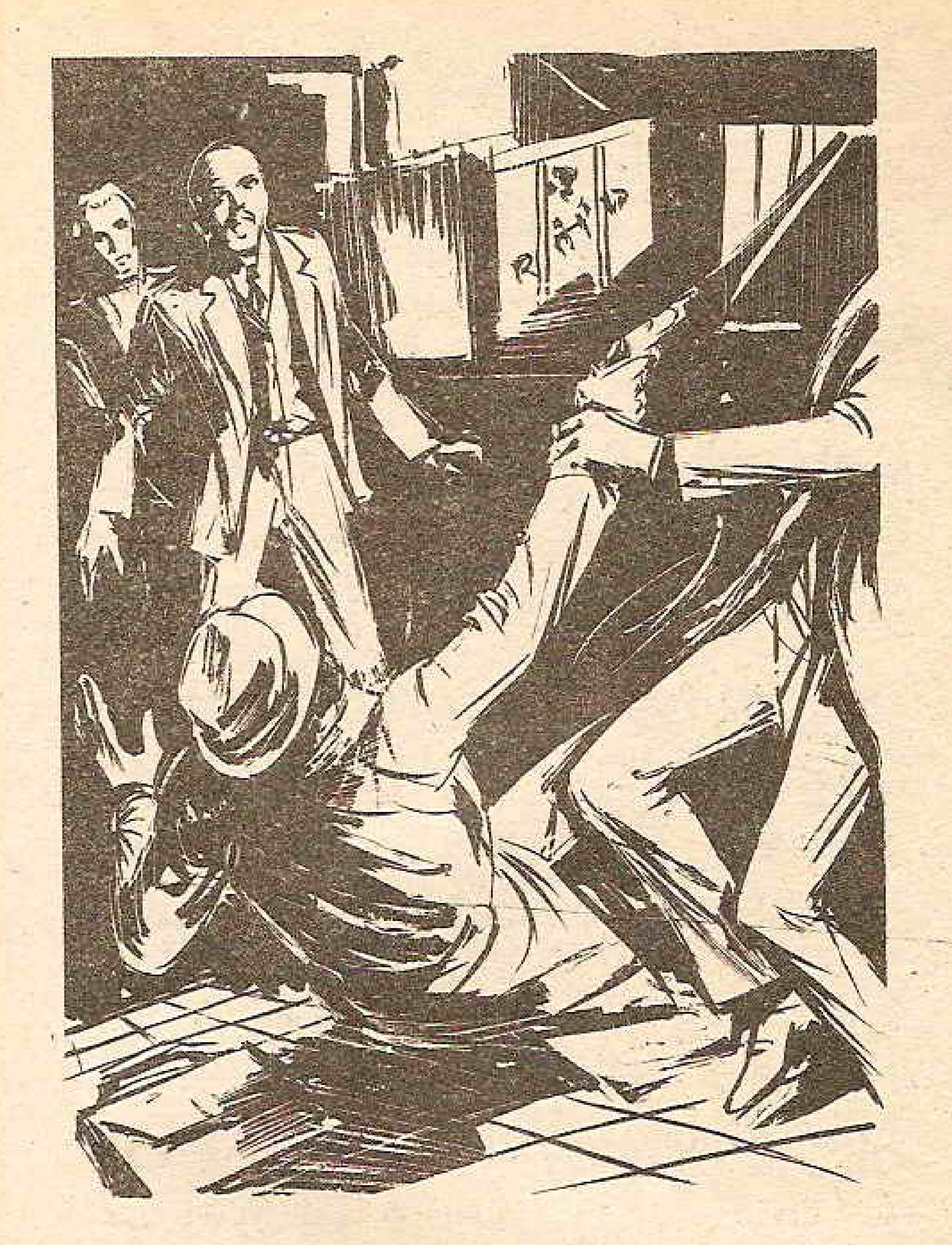
ــ (جورك) أدر محرِّك السيارة ، واستعد للانطلاق بنا ..

ونفَّذ الرجل القصير ما أمره به زميله ، فى حين بدأ الآخر فى العدّ قائلًا :

ــ واحد .. اثنان ...

أسقط فى أيدى الرجال ، وبدا عليهم العجز وفقدان الحيلة ، فأخذوا يخفضون مسدساتهم تدريجيًا ، ليلقوا بها على الأرض عند الرقم ثلاثة .. وفى هذه اللحظة ، اندفع من بين صناديق الكارتون المرصوصة داخل أروقة المخزن ، شخص يشبه الوميض ، لينقض من الخلف على (جريفز) كالقذيفة الموجَّهة ، ملقيًا به على الأرض ، وهو يقبض على يده الممسكة بالمسدس ، قبضة تشبه الطوق الحديدىّ فى قوتها .

وانفلتت عدة رصاصات من مسدس (جريفز) فى الهواء ، فى حين اندفع شخص آخر ، ليجذب الرجل الملقَّب بالجنرال بعيدًا عن الخطر . وفى نفس اللحظة أطلق



لينقض من الخلف على (جريڤز) كالقذيفة الموجَّهة ، ملقيًا به على الأرض ، وهو يقبض على يده الممسكة بالمسدس ..

أحد الرجال الأربعة عدة طلقات على عجلات السيارة ليعوقها عن الحركة .

والتقط الرجال مسدساتهم ، وقد أحاطوا بالسيارة من كل جانب ليشهروها فى وجه الرجل ، الذى كان يتأهب للانطلاق بها .. وأمره أحدهم بالنزول رافعًا يديه إلى أعلى .

أطاع الرجل القصير الأمر ، وهبط من السيارة رافعًا يديه ، وقد أدركه اليأس من أى محاولة للمقاومة .. فيما كان الشخص الشبيه بالقذيفة يضرب يد (جريڤز) الممسكة بالمسدس على الأرض بقوة ، وهو جاثم فوقه ، حتى نجح فى تحرير المسدس من يده ، لينهال بعدها باللكمات على فكه .

وأدرك (جريڤز) أنه لا جدوى من المقاومة ، فقال له مستسلمًا بدَوْره :

— كفى .. كفى .. إنى أستسلم ..

وقام الرجل الجاثم فوقه ليساعده على النهوض قائلًا :

ـــ حسنًا .. انهض لترافق زميلك ، فهنالك الكثير من التحقيقات فى انتظاركما ..

ودنا أحد الرجال المسلّحين من الرجل الشبيه بالقذيفة قائلًا له :

ـــ كانت هجمة موفّقة للغاية يا سيادة المقدم (ممدوح) .. لقد كنت أشبه بالصاعقة ، التى انقضّت فجأة على رأس هذا الشيطان .

قال (ممدوح) وهو ينفض يده :

ـــ أعتقد أننا نستطيع أن نقول الآن إن مهمتنا قد نجحت .

* * *



٢ ـــ رحلة لأثينا ..

اجتمع اللواء (مراد) فى مكتبه ، بالمقدم (ممدوح) والرائد (رفعت) وباقى المجموعة ، التى قامت بالقبض على (أوليفر جريفز) عميل دولة (أسترتان) المعادية لمصر .. وإحباط خطّته فى الحصول على معلومات عن المواقع الدفاعية ، والمطارات السرّيّة المصرية .

قال لهم اللواء (مراد) مهنّئًا :

ـــ إنكم تستحقّون التهنئة ، على ذلك العمل الممتاز الذى قمتم به ، والذى أدّى إلى القبض على واحد من أشهر عملاء المخابرات (الأسترتانية) وأخطرهم .. لقد وجهنا ضربة قوية للغاية لمخابرات دولة معادية ، كانت تتفاخر دائمًا فى صلف وغرور بقوتها ، وبراعة عملائها ، الذين حوّلتهم إلى رجال أسطوريين من النوع الذى لا يقهر .. ولا ننسى فى هذا المقام الدَّوْر الذى شاركتنا به المخابرات الحربية ،

واللواء (حمدى صادق) ، الذى ساير ذلك العميل فى مخطّطه ، حتى نجحنا فى القبض عليه .

ثم ابتسم اللواء (مراد) قائلًا :

ــ وبالطبع فأنتم الآن فى انتظار الإجازة التى وعدتكم بها ، بعد ما بذلتموه من مجهود ضخم .. حسنًا .. إننى أوافق على منحكم إجازة لمدة أسبوع .

وشكر الرجال اللواء (مراد) .. ثم استداروا لمغادرة مكتبه .. لكن اللواء (مراد) نادى المقدم (ممدوح) قائلًا :

ــ لا .. انتظر أنت يا (ممدوح) فأنا أريدك .

وانتظر المقدم (ممدوح) بعد انصراف زملائه .

نهض اللواء (مراد) من مكتبه واتجه نحو (ممدوح) ، ليضع يده فوق كتفه قائلًا :

ــ معذرة يا (ممدوح) .. فيما يتعلق بإجازتك ، فلا أستطيع أن أصرّح لك بأكثر من أربعة أيام فقط .. أنا أعرف أنك لم تحصل على إجازة طويلة منذ عدة شهور ، لكنك تعرف أيضًا مدى أهميتك بالنسبة للإدارة .

فابتسم (ممدوح) قائلًا :

ــ هذا هو ثمن الشهرة ..

قال اللواء (مراد) مداعبًا :

ــ وشهرتك هذه هى التى تجعلنى أرشّحك لمهمة حسّاسة ودقيقة للغاية ، أفضّل ألّا أبوح لك بشىء عن تفاصيلها الآن ، لحين عودتك من الإجازة .

ممدوح :

ــ أتعتقد سيادتك أنه لن يحدث تخفيض جديد لعدد أيام الإجازة ؟ .

وضحك اللواء (مراد) قائلًا :

ــ لا .. اطمئن .. فلن نحتاج إليك قبل أربعة أيام .. وبهذه المناسبة ، أين ستقضى إجازتك القصيرة ؟ .

ممدوح :

ــ لقد وعدت صديقًا قديمًا لى يعيش فى اليونان منذ سنوات طويلة بتمضية أسبوع سياحى معه فى أثينا .. لكن بما أنه قد تم اختصار أيام الإجازة ، فلا بأس من تمضية أربعة أيام فى أثينا .

اللواء (مراد) :

ـــ عمومًا .. اترك لنا عنوانك ، كى نتصل بك فى حالة الضرورة .. وأتمنّى لك إجازة سعيدة ..

ممدوح :

ـــ أشكر لك يا أفندم .

وغادر (ممدوح) الحجرة ، فيما عاد اللواء (مراد) ينكبّ على الأوراق المكدّسة فوق مكتبه .

* * *

حالما هبط (ممدوح) فى مطار أثينا ، توجّه إلى الاستعلامات ، ليستفسر عمّا إذا كان هناك أحد قد سأل عنه ، خاصّة وأن الطائرة قد تأخّرت عن موعدها نصف ساعة ..

ولمّا أجابته موظفة الاستعلامات بالنفى ، وقف حائرًا فى ردهة المطار .

وفجأة سمع صوتًا يأتى من خلفه قائلًا :

ـــ مرحبًا بك فى أثينا يا ذا القبضة الحديدية .

فابتسم (ممدوح) فى سعادة ، وهو يسمع هذه الجملة ، فعدد قليل من أصدقائه القدامى هم الذين يلقّبونه بهذا اللقب ، منذ أن كان بطلًا للملاكمة ، على مستوى المدارس الثانوية بالجمهورية .

والتفت (ممدوح) خلفه باسطًا ذراعيه ، وهو يقول ضاحكًا :

ـــ (منير) .. صديق الدراسة القديم .

وبعد اللقاء الحار بين (ممدوح) وصديقه ، اصطحبه الأخير خارج المطار فى سيارته ، قاصدًا به إلى منزله .

قال له (ممدوح) :

ـــ لقد سمعت أنك قد أصبحت الآن من كبار رجال الأعمال المعروفين فى اليونان .

فأجابه (منير) قائلًا :

ـــ إننى ما زلت فى بداية الطريق .. وأنا أيضًا سمعت أنك قد أصبحت من رجال المباحث المشهورين فى مصر .. لقد كان حلمك دائمًا منذ أن كنّا طالبيْن فى المدرسة

الثانوية أن تلتحق بكلية الشرطة ، لتصبح ضابطًا .. وهأنتذا قد حققت حلمك .. وبالمناسبة ما رتبتك الآن ؟.

ممدوح :

ــ مقدم .

وضحك صديقه قائلًا :

ــ مع أنك تبدو أصغر بكثير من هذه الرتبة .. واضح أن ترقياتك كانت سريعة ، وهذا يدل على مدى كفاءتك .. ها نحن أولاء قد وصلنا إلى المنزل ..

وبعد التعارف القصير الذى تم بين (ممدوح) وعائلة صديقه ، خرج الصديقان لزيارة معالم أثينا ، وربوعها السياحية ..

قضى (ممدوح) وصديقه وقتًا يستمتعان بالصعود إلى الأكروبول ، حيث راح (منير) يعرِّفه بالمعابد الأثرية القديمة ، والقصص الأسطورية التى تدور حولها .

وعندما حل الجوع والتعب بالصديقين ، قال (منير) لـ (ممدوح) :

ــ ألَمْ تشعر بالجوع بعد ؟.. ما قولك فى العودة إلى المنزل لأستمع إلى رأيك فى طعام زوجتى ؟.

ممدوح :

ــ ولكننا ما زلنا فى منتصف الزيارة .. إن الإجازة المسموح لى بها لا تتجاوز أربعة أيام ، وأنا أنوى استغلال كل دقيقة منها .

(منير) :

ــ إذن .. فلنمض إلى إحدى (الكافتيريات) القريبة لابتياع بعض الشطائر ، لنحصل على وجبة سريعة ، ثم نستأنف زيارة المعابد الأثرية .

ممدوح :

ــ اذهب أنت .. وسوف أنتظرك هنا .. فالمنظر من هنا رائع . يريح الأعصاب ..

ابتسم (منير) وقال :

ــ حسنًا .. ولكن إياك أن تغضب أحد آلهة الإغريق القدامى ، وإلَّا حلَّت عليك نقمتهم ..

وتركه ومضى .. فى حين جلس (ممدوح) فوق إحدى الصخور يتطلّع إلى أحد المعابد الأثرية القديمة .

وبينما هو جالس فى مكانه دنا منه رجلان وسيِّدة ، يغلب عليهم مظهر السائحين ، الذين يجوبون المنطقة .

قال أحدهم لـ (ممدوح) :

ــ نأسف إذا كنا نسبِّب لك إزعاجًا يا سيِّدى .. ولكننا نودّ الحصول على صورة جماعية لنا قبل مغادرة هذا المكان ، أتتفضَّل بالتقاطها لنا ؟ .

ممدوح :

ــ بكل سرور .

الرجل :

ــ شكرًا جزيلًا .

وناوله الرجل (الكاميرا) لالتقاط الصورة ، ثم وقف مع الباقين وخلفهم المعابد الأثرية ، وعلى وجوههم ابتسامات بريئة ..

ضبط (ممدوح) عدسة (الكاميرا) ، ثم ضغط على الزِّرِّ الخاص بالتقاط الصورة .. ولكن غازًا أصفر اللون انبعث فجأة من (الكاميرا) ، ليغمر وجهه .. ولم يشعر إلَّا أنه يتهاوى إلى الأرض ، فاقد الإدراك تمامًا .

فأسرع إليه الرجلان ليحولا بينه وبين السقوط على الأرض .. فيما قالت لهما السيدة بصوت آمر :

ــ أسرعا بنقله إلى السيارة ، وتأكدا من أن أحدًا لا يرانا ..

أسرع أحد الرجلين بنقل (ممدوح) إلى سيارة زرقاء صغيرة ، كانت تقف منهم على مقربة .. وقد أخذ الآخر يتطلّع حواليه ليستوثق من ابتعاد السائحين وأن أحدًا لم يفطن لما حدث ..

ثم قال للسيِّدة :

ــ كل شىء على ما يرام .

قالت لهما السيِّدة :

ولكن غازًا أصفر اللون انبعث فجأة من (الكاميرا) ، ليغمر وجهه .. ولم يشعر إلَّا أنه يتهاوى ..

ـ حسنًا .. دعونا نرحل على الفور .. وأنت اتصل بـ (ماكس) وأخبره بنجاح العملية

* * *



٣ ــ السجين والثعلب ..

عندما أفاق (ممدوح) من غشيته وجد نفسه ممدَّدًا على سرير داخل زنزانة حديدية .. حاول أن يستعيد ما حدث له .. لكنه لم يتذكَّر سوى آلة التصوير الصغيرة ، وتلك المجموعة من السائحين .. ثم الغاز الأصفر الذى انبعث من الآلة ، عندما ضغط على زرِّ التصوير بها .. أما ما حدث بعد ذلك فلا يدرى عنه شيئًا .. ثم ما هذه الزنزانة ؟.. وأين هو الآن ؟. تُرى أيكون قد اختطف ؟. ولكن من الذى اختطفه ؟. ولماذا ؟.

وفيما هو غارق فى هذه التساؤلات التى لا يجد لها إجابات شافية .. سمع وقع أقدام بالخارج ، فأسرع نحو الباب الحديدى ، وأخذ يدق عليه بقوة ، ليسمعه أحد ممن بالخارج .

وأخيرًا جاءه صوت يقول :

ــ لا داعى لكل هذه الجلبة ، فنحن نسمعك جيِّدًا .. بل نراك أيضًا .

تفحَّص (ممدوح) المكان حوله ، فلمح (كاميرا) تليفزيونية وميكروفونًا صغيرًا مثبَّتين فى إحدى زوايا سقف الزنزانة .

استمر الصوت يقول :

ــ مرحبًا بك فى بلادنا ، وزنزانتنا أيها المقدم (ممدوح) ، ضابط العمليات الخاصَّة الشهير ..

ممدوح :

ــ حسنًا .. ما دمت تفضِّل أن يتم التعارف بيننا من خلال (كاميرا) تليفزيونية ، وسمَّاعة مخفاة بين الجدران .. فهل لى أن أعرف إلى من أتحدَّث ؟ وما معنى كلمة مرحبًا بك فى زنزانتنا ؟. ولماذا أنا هنا فى زنزانتكم وبلادكم ؟.

ضحك صاحب الصوت ضحكة عالية ، وقال :

— إنك تطرح الكثير من الأسئلة يا عزيزى ، مع أن المفروض أن يحدث العكس .. فنحن هنا الذين نسأل ، وعليك أنت أن تجيب .. ولكنى سأجيب عن أسئلتك استثناء من القاعدة المتبعة هنا .. لقد قمنا باختطافك من أثينا ، وإحضارك إلى (أسترتان) ، بناء على خطة محكمة التنفيذ .. وأنت الآن سجين فى زنزانة خاصة ، تابعة للمخابرات (الأسترتانية) .. وأعتقد أنك تعرف السبب الذى اختطفناك من أجله .. فلك سجل حافل معنا .. لقد تسببت فى إفساد إحدى عملياتنا الهامة فى الشرق الأوسط .. وإفساد عملية الحصول على غاز الـ (دى . سى) ، ومصرع عميلنا (بنيامين) .. وأخيرًا أسهمت فى القبض على (جريفز) ، أخطر عملائنا فى مصر . وقد يقع فى وهمك أننا نسعى للانتقام منك الآن ، جزاء ما سببته لنا من متاعب .. ولكننا أكثر تعقلًا من ذلك .. إن (جريفز) مقبوض عليه الآن فى مصر .. وبما أنك عند دولتك وإدارتك تمثل نفس الأهمية التى لـ (جريفز)

عندنا .. فإن هدفنا ليس الانتقام .. وإنما المبادلة .. وإذا كانت (إدارة العمليات الخاصة) التى تتبعها ، تريد حقًا أن تستردك ، فعليها أن تعيد إلينا (أوليفر جريفز) ، الذى تسببت فى القبض عليه .. وقد بدأنا فى الاتصال بحكومتكم عن طريق وسيط ، من أجل إتمام عملية المبادلة .

حاول (ممدوح) أن يتكلم ، ولكن الاتصال كان قد قطع .. جلس على حافة السرير وأخذ يفكر .. لقد نفذ رجال المخابرات (الأسترتانية) خطتهم ببراعة ، واستطاعوا أن يضعوا (المكتب رقم ١٩) فى مأزق خطير .

إن خطة إلقاء القبض على (جريفز) ، استغرقت شهورًا طويلة من التخطيط والإعداد ، والمجهودات المضنية .. كما أنها اقتضت اطلاعه على بعض الخرائط السرية الحقيقية ، المتعلقة بوسائل الدفاع ، والمطارات السرية ، من أجل كسب ثقته .. حقيقة لم يتمكن من الحصول على أى منها .. لكن لابد أن ذاكرته قد سجلت

بعضًا مما اطّلع عليه ، ووقوعه فى قبضة (استرتان) على هذا النحو ، وبعدما سجلته ذاكرته من أسرار قد يقتضى تغيير الكثير من الخطط العسكرية ، وأماكن المطارات السرِّيَّة .

وأخذ يردِّد لنفسه قائلًا :

ــ كان يجب أن أكون أكثر حذرًا من ذلك .. تُرى هل علم (منير) بأمر اختطافه ؟ . وما وقع هذا الخبر على اللواء (مراد) وزملائه بالمكتب (١٩) ؟ .

وعندما بلغ هذا الحدّ من التفكير ، شعر بأن رأسه يكاد ينفجر .. وصمّم على الإفلات من هذه المصيدة بأى ثمن .

* * *

فى اليوم التالى فُتحت أبواب السجن ، فى ساعة متأخِّرة من الليل ، ليدخل على (ممدوح) رجلان مسلَّحان ، أيقظاه من نومه ، وقال له أحدهما بغلظة :

ــ هيّا معنا .

ممدوح :

ــ إلى أين ؟ .

وضحك الآخر بسُخْرية قائلًا :

ــ سنصحبك معنا فى نزهة .

* * *

واقتاده الرجلان المسلَّحان ، بعد أن وضعا القيود الحديدية فى معصميه ، إلى سيارة تقف أمام باب السجن .

كانت السيارة تشبه سيارات الإسعاف ، وإن اختلفت عنها فى لونها الأزرق المميَّز ، وهذا الزجاج الأسود القاتم الذى يحجب الرؤية تمامًا بداخلها .

وأغلق الرجلان الباب الخلفى للسيارة ، وأخذا مقعديهما على يمين (ممدوح) ويساره ، وبيد كل منهما مسدس مزوَّد بكاتم للصوت .

وخلال ثوان كانت السيارة قد تحرّكت ، منطلقة بأقصى سرعة .

استطاع (ممدوح) من خلال ملاحظته لعقارب الساعة فى يد الرجل أن يحسب أنه قد مرَّت عليه قرابة

الساعة ، منذ أن تحرّكت بهم السيارة من مقر السجن ..

كما استطاع أن يلحظ أيضًا من خلال متابعته لمعالم الطريق من خلف الزجاج الأسود القاتم ، أن يعرف أن السيارة قد مرّ عليها نصف ساعة ، وهى تقطع طرقًا صحراوية جرداء تمامًا .

كان يتوافر لـ (ممدوح) من قوة الأعصاب ، ما جعله ينصرف عن الخوف والقلق ، من هذا المجهول الذى يقوده إليه هذان الرجلان ، إلى محاولة اختزان كل ما يتراءى أمامه ، من معالم الطريق فى ذاكرته ؛ فقد كان على ثقة أنه قد يحتاج لما يختزنه فى هذه الذاكرة ، للإفلات من المصيدة التى أصبح فيها .

وبرغم كل بواعث اليأس والإحباط المُحْدِقة به ، فإنه لم يكن بالرجل الذى يستسلم بسهولة .. وبدا وكأن أحد الرجلين قد قرأ أفكاره .. فقام بإخراج منديل أسود من جيبه ، وضعه على عين (ممدوح) قائلًا له :

ـــ حسبك ما شاهدته حتى الآن .. فالجزء الباقى من الطريق محرَّم عليك رؤيته .

وظلّت السيارة تسير بهم قرابة نصف ساعة أخرى إلى أن توقّفت بهم فجأة .. وسمع (ممدوح) أبواب السيارة وهى تفتح ، وصوت أحد الرجلين يأمره بالهبوط منها .

هبط (ممدوح) من السيارة وهو لا يزال معصوب العينين .. وشعر بنفسه وهو يرتقى درجات سُلَّم صغير .. ثم أصوات أبواب تفتح إليكترونيًّا .

وجعل الرجلان يدفعانه داخل ممرّات طويلة ، ثم وقفا به فى النهاية أمام باب آخر انفتح إليكترونيًا ، ثم سمع صوتًا يقول للرجلين :

ـــ إن الرئيس فى انتظاركما .

وساقه الرجلان إلى إحدى الحجرات ، ليسمع أحدهما يقول بصوت مسموع :

ـــ لقد أحضرنا السجين يا سيّدى .

فارتفع صوت ذو نبرات ناعمة ، يشيع فيه دهاء ومكر ، لا تخطئهما الأذن ، وهو يقول :

ـــ حسنًا .. انزعا العصابة من فوق عينيه .

ونزع أحدهما المنديل الأسود من فوق عينى (ممدوح) ، الذى لم يقو على احتمال الضوء القوى المبهر ، فأسرع وستر عينيه بيديه ثم أخذ يفتح عينيه شيئًا فشيئًا ليجد نفسه أمام رجل متوسط البِنْية .. له شعر يميل إلى الاحمرار ، وإن كان مصففًا بعناية ، وعلى وجهه نظارة طبّية ، فوق عينين تنطقان بالخبث والدهاء .

ابتسم الرجل ابتسامة باردة ، وهو يقول لـ (ممدوح) :

ــ مرحبًا بك فى المقر الرئيسى لمخابرات (أسترتان) .. أعرّفك بنفسى ، (رونى ماكس) الشهير بالثعلب ، ومدير المخابرات (الأسترتانية) .

ردّد (ممدوح) لنفسه وهو يحدق فى الرجل مليًّا :

ــ إن اسم الشهرة يتفق تمامًا مع معالم هذا الصوت والوجه .

* * *

٤ ــ الوسائل الرهيبة ..

دعا مدير مخابرات (أسترتان) (ممدوح) للجلوس ، فى حين ظل الرجلان المسلّحان واقفين على مقربة من الباب .

قال له (ماكس) بابتسامته الماكرة :

ــ لقد سبّبت لنا متاعب جمّة أيها المقدم الشاب ، وكان يتعيّن قتلك على الفور ، حالما وقعت بين أيدينا ، جزاء لك على ما سبّبته لنا من مضايقات .. ولكن حاجتنا الشديدة لذلك الجاسوس الذى اعتقله مكتبكم بالقاهرة ، أجبرتنا على المساومة عليك .. عمومًا أحب أن أطمئنك ؛ فقد نجحت مفاوضتنا مع الحكومة المصرية عن طريق طرف ثالث .. ووافقت دولتك على إعادة (أوليڤر جريڤز) لنا ، مقابل أن تعود إليها .. وسوف تتم عملية التسليم والتسلّم بعد ثلاثة أيام عن طريق الدولة الوسيطة .

حدَّث (ممدوح) نفسه بمرارة :

ـ كيف رضخت إدارة العمليات الخاصة لهذه المساومة الدنيئة ؟.

إن (جريفز) قد ارتكب الكثير من الجرائم ، التى كان ولابدَّ أن يحاكم من أجلها .. فقد قام بالعديد من عمليات التجسُّس ، والتخريب ، وتسبَّب فى قتل عدد من الأبرياء .. هل جاء اليوم الأغبر ـ وقد نذرت نفسى لخدمة وطنى وحماية أمنه ـ لأصبح مصدرًا للمساومة على أعدائه ؟.

وقطع عليه (ماكس) تفكيره قائلًا :

ـ ألست سعيدًا لقرب مغادرتك لبلادنا ؟.

ممدوح :

ـ وهل جئت بى إلى هنا لتهنِّئنى على قرب موعد رحيلى ؟

ماكس :

ـ لا .. لقد أحضرتك إلى هنا فى الواقع لسبب آخر .. فأنت تعلم أن رجلًا له مثل أهميتك ، لديه الكثير من

الأسرار والخبايا ، التى يمكن أن يطلعنا عليها ، خاصة تلك المتعلِّقة بأجهزة الأمن فى مصر ، وخطط الأمن الاستراتيجية .. ونحن هنا لدينا مجموعة من الأسئلة التى نرغب فى أن نطرحها عليك ، لنستمع منك إلى أجابتها .

ممدوح :

ـ أتعتقد أننى سأجيب عن أسئلتك ؟.

ماكس :

ـ هذا ما آمله ، كيلا أضطر لإجبارك عليه .. فلدينا هنا طائفة من الوسائل الكفيلة بحل عقدة لسانك ، ومن الأفضل لك ألَّا تدعنا نستخدمها معك .

وهمّ (ممدوح) أن يردَّ عليه ، ولكن (ماكس) وضع إصبعه على شفتيه قائلًا له :

ـ أريد منك أن تشاهد معى هذا أولًا ، قبل أن تتسرَّع فى الردِّ .

ثم ضغط على زرٍّ فوق مكتبه ، فارتفعت لوحة عريضة معلَّقة فوق الحائط إلى أعلى ؛ ليظهر خلفها إطار زجاجى ،

يكشف عن غرفة بها عدد من الرجال ، فى حالة إعياء كامل ، وقد ظهرت على أجسادهم آثار تعذيب بشع .

قال (ماكس) مبتسمًا :

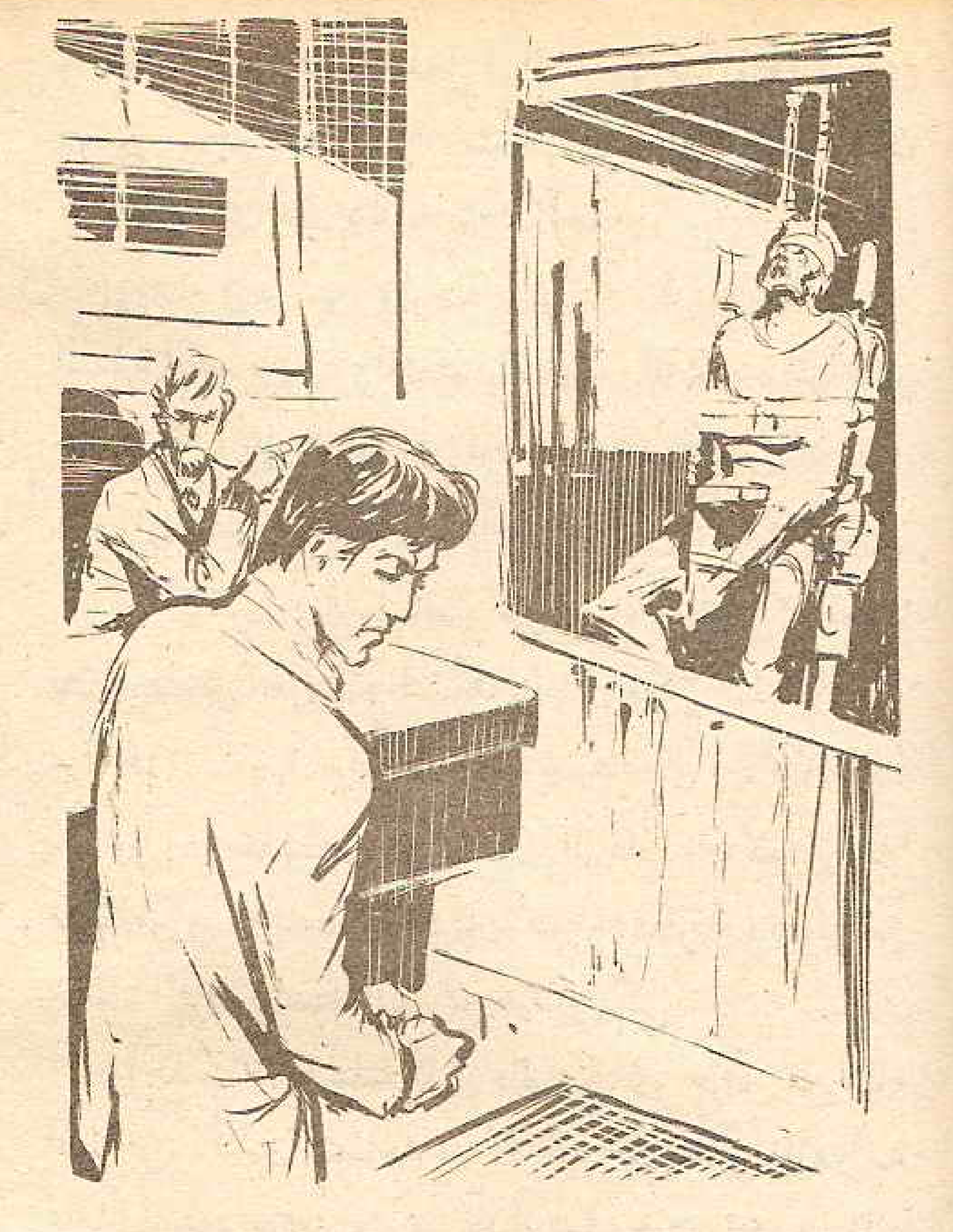
ــ إننى كثيرًا ما أجلس أمام ذلك الزجاج العاكس ، لأستمتع برؤية بعض أولئك الأشخاص ، الذين كانوا يرفضون الإجابة عن أسئلتى فى البداية ، ثم أجابوا عنها فى النهاية ، بعد أن أقنعهم رجالى بذلك .

وضغط على زرٍّ آخر فى جهاز اتصال مثبّت فوق مكتبه ، وهو يقول :

ــ (ساسون) أريد منكَ أن تقدّم لنا عرضًا صغيرًا .

ورأى (ممدوح) من خلال الزجاج العاكس أحد الرجال ، وقد أجلس فوق مقعد معدنى ، بعد أن قيِّدت يداه وقدماه بقيود معدنية مثبتة فى المقعد .

ثم شاهد أحد رجال (ماكس) ، وهو يوصِّل سلكًا كهربيًّا متصلًا بالمقعد بدائرة كهربائية ، ولم تمض لحظات إلَّا والمقعد يسخن تدريجيًّا تحت تأثير التيار الكهربائى ،



ورأى (ممدوح) من خلال الزجاج العاكس أحد الرجال ، وقد أجلس فوق مقعد معدنى ، بعد أن قيِّدت يداه وقدماه ..

والرجل الجالس فوقه يتململ فى ألم ، حتى بدأ المقعد المعدنى يتوهج .. فاشتدت صرخات الرجل ، وقد بدا وكأن جسده يشوى فوق ذلك المقعد الساخن .

وأشار (ماكس) لرجله بالتوقُّف ، فنزع السلك من الدائرة الكهربائية ، وفكَّ قيود الرجل ، الذى بدا غير قادر على الوقوف على قدميه من فرط ما حاق به ..

وازدادت الابتسامة على وجه (ماكس) ، وهو يقول :

ــ كما ترى ، فإننا نبقى على حياة الرجل .. لكننا نصيبه ببعض الحروق والتشوُّهات .. ويمكن أن نكرر الأمر مرة أخرى .. إنها مجرد عملية فنية بسيطة ... والآن انظر .

ورأى (ممدوح) من خلال الزجاج العاكس رجلاً معلَّقًا من رسغه بسلسلة حديدية طويلة متحركة ، تتدلَّى من سقف الغرفة بواسطة آلة رفع هيدروليكى .

وأخذت السلسلة تُدلى بالرجل فى حوض من الماء الساخن ، الذى تتصاعد منه الأبخرة حتى غطَّى الماء رأسه تمامًا ، ثم تعود فترفعه إلى أعلى لتدلى به فى حوض آخر من الماء

المثلج ، الذى يمتلئ بمكعبات ثلجية .. وهكذا على نفس النسق .. والرجل يصرخ من شدة الألم .

وأغمض (ممدوح) عينيه من بشاعة المنظر .. فنظر إليه (ماكس) والابتسامة لا تفارقه .. ثم قال لرجله من خلال جهاز الاتصال :

ــ حسنًا (يا ساسون) أوقف العرض ، فأعصاب ضيفنا لم تعد تحتمل .

وضغط (ماكس) على الزِّر أمامه ، لتعود اللوحة فتغطى الإطار الزجاجى من جديد .

قال (ماكس) لـ (ممدوح) :

ــ أرى أنك قد تأثَّرت كثيرًا بما شاهدته ، وأعتقد أن هذا سيساعدك على سرعة تجاوبك معنا .

أجابه (ممدوح) فى تحدٍّ :

ــ إنك تخطئ كثيرًا ، لو توهَّمت أن وسائلكم الدنيئة هذه ، ستفلح فى إجبارى على الإدلاء لكم بأسرار وطنى .. ويبدو أنه غير متوافر لديك معلومات كافية عنِّى ؛ لأنها

لو كانت متوافرة ، لعرفت أننى قد واجهت ما هو أفظع من ذلك ، وتقابلت مع الموت مرارًا فى سبيل بلادى .. وشخص على شاكلتى لا يكون خائنًا قط لوطنه .. مهما استخدمت معه من وسائل .

ودون أن تفارق الابتسامة وجه الثعلب قال لـ (ممدوح) :

ـ هذا الحديث يسهل قوله الآن .. لكنه لا يساوى شيئًا عندما تجرُب وسيلة واحدة من وسائل التعذيب المتبعة هنا .. ومهما يكن من أمر ، فسأعتبر مقابلتى لك اليوم مجرَّد زيارة للتعارف ، لكن عليك أن تفكِّر جيِّدًا فيما طلبته منك ، عندما تعود إلى سجنك ، فعندما يحضرونك إلىَّ غدًا لن أكون كريمًا معك ، كما كنت اليوم .. فلم يبق أمامك سوى ثلاثة أيام قبل أن تتم عملية تبادل العملاء ، وتعود إلى بلادك ، فلا تجعلنى أعيدك إليها حُطامًا .

ثم أشار للرجلين الواقفين أمام الباب قائلًا لهما :

ـ أعيدا السجين إلى سجنه .

* * *

٥ ـ الهروب ..

جلس (ممدوح) داخل السيارة من جديد .. وبعد مسيرة نصف ساعة ، نزع أحد الرجلين العصابة السوداء من فوق عينيه .

كان (ممدوح) لايزال مكبَّلًا بالأغلال الحديدية .. وكان أحد الرجلين جالسًا بجواره ، وقد أشعل سيجارته والمسدس فى يده ..

أما الآخر فكان جالسًا فى المقعد المواجه ، وقد وضع المسدس إلى جواره على المقعد ، وأخذ يصبّ لنفسه بعضًا من الشاى من (ترموس) صغير فى يده ، ويده الأخرى تمسك بكوب من البلاستيك ..

ونظر (ممدوح) من خلال النافذة ذات الزجاج الأسود ، ليجد السيارة قد بدأت تجتاز الطريق الصحراوى .

وفى خلال ثوان كان قد قرّ قراره على أمر : لن يعود إلى هذا السجن من جديد مهما كانت خطورة العمل الانتحارى الذى سيقدم عليه .

وأخذ ينقل ناظريه إلى الرجل الجالس إلى جواره ، وكان النعاس قد بدأ يغالبه برغم تشبثه بالمسدس فى يده .. وإلى ذلك الجالس فى مواجهته مستغرقًا فى شرب الشاى والمسدس بجواره ، وإلى الحاجز الزجاجى الذى يفصل بين ثلاثتهم وبين السائق وكان الزجاج سميكًا بالقدر الكافى لحجب الصوت عن السائق .

وقدّر (ممدوح) أن الفرصة قد أصبحت مواتية ، وعليه استغلالها .. ففى اللحظة التى كان فيها الرجل الجالس فى المواجهة قد بدأ يصب لنفسه كمية أخرى من الشاى ، والآخر مستسلمًا لنعاسه .. هبَّ (ممدوح) فجأة من مكانه واقفًا بالقدر الذى يسمح به ارتفاع السيارة ، مهاجمًا الشخص الجالس فى مواجهته .

صوَّب إليه بقدمه ضربة قوية فى اليد الممسكة بكوب

الشاى والترموس ، لينسكب الشاى الساخن على وجهه .. فصرخ الرجل بعد إذ أحرق الشاى الساخن وجهه .

وقبل أن يصدر عنه أى ردّ فعل ، كان (ممدوح) وبأسرع من البرق قد هجم على المسدس الملقى بجواره ، ليلتقطه بالقدر الذى يسمح به اتساع القيود الحديدية .

ثم غاص بنفسه فى أرضية السيارة مطلقًا طلقة سريعة إلى يد الرجل الثانى ، الذى كان قد هبَّ من نعاسه ، وهمَّ بتصويب مسدسه نحو (ممدوح) .

وسقط مسدس الرجل على الأرض ، بعد أن نال بدَوْره نصيبه من الألم من جرَّاء الطلقة التى أصابته .

وأزاح (ممدوح) المسدس بقدمه ليقرِّبه منه ، ويبعده عن الرجل .. وعاد ليقف فى مواجهة الرجلين ، وإصبعه على زناد المسدس المصوَّب إليهما .

كان تصرُّفه سريعًا وانتحاريًا بدرجة لم تُتحْ لأيهما فرصة الردّ عليه .. قال لهما بصوت آمر :

— المفتاح .. أريد مفتاح القيد .

أجابه أحد الرجلين بنبرات مذعورة :

ـــ حسنًا .. حسنًا .. ولكن كن هادئًا .. سأخرجه لك من جيبى .

ممدوح :

ـــ ببطء وتذكَّر أن إصبعى على الزّناد .

وأخرج الرجل المفتاح من جيبه ، ليلقى به فى اتجاه (ممدوح) الذى قال لزميله :

ـــ افتح باب السيارة .

ونفَّذ الآخر ما أمره به (ممدوح) ، وفتح الباب الخلفى للسيارة .

قال لهما (ممدوح) بصوت آمر ، ونظرات ثاقبة :

ـــ حسنًا .. الآن اقفزا من السيارة .

فصاح أحدهما قائلًا :

ـــ أأنت مجنون ؟ .. إن السيارة تسير مسرعة .

فأطلق (ممدوح) طلقة للإرهاب بين قدمى الرجل ، قائلًا :

ـــ لا أريد مناقشة .. اقفز .

كان للطلقة مفعولها على الرجلين ، فقد قذفا بنفسيهما من السيارة المنطلقة ، متدحرجيْن على الأرض الرملية الخشنة ، وقد نالهما من السقطة ما نالهما ..

وبعدها ألقى (ممدوح) بالمسدس فوق المقعد ، ثم بدأ يتحايل فى استخدام المفتاح للتحرُّر من قيده .

وأخيرًا نجح فى التخلُّص من القيد الحديدى .. ثم عاد ليلتقط المسدس ، وتسلَّق مؤخرة السيارة ، حتى صعد إلى ظهرها .. وأخذ يزحف فوقها ببطء ، حتى أصبح جاثمًا فوق كابينة القيادة .. ودقّ بفوّهة المسدس فوق الزجاج المواجه للسائق .. الذى أصيب بالدهشة لهذه الحركة .

لكن (ممدوح) كان قد زحف إلى الجانب الأيسر من الناحية التى يقود منها السائق ، وأدْلى برأسه والمسدس فى يده قائلًا له :

ـــ هل تبحث عن شىء ؟ .

وبهت السائق ، وقد فوجئ بوجه (ممدوح) يطلّ عليه من النافذة المجاورة ، والمسدس مصوَّب إلى رأسه .

قال له (ممدوح) بابتسامة تنبئ عن قوة أعصابه فى مواجهة الصعاب :

ـــ لقد انتهت الرحلة هنا يا صديقى .. فزميلاك قد سبقاك إلى النزول بالمحطة السابقة ، وآن لك أن تلحق بهما .

كان السائق قد بدأ يتمالك نفسه من وقع المفاجأة .. فضغط بقدمه بقوة على (فرامل) السيارة ، ليخل بتوازن (ممدوح) فوقها .

وأدَّت الوقفة القوية الفجائية إلى اختــلال توازن (ممدوح) ، فسقط المسدس من يده .. ولكنه قبل أن ينحدر ساقطًا إلى الأرض استطاع أن يتعلَّق بباب السيارة الخاص بكابينة القيادة ، فى اللحظة التى كان يهم فيها السائق بفتح (التابلوه) الداخلى لإخراج مسدسه .

ولم يدع له (ممدوح) الفرصة .. فقد تشبَّث بالإطار العلوى للباب ، وبحركة من حركات الجمباز ، رفع قدميه بزاوية قائمة ليطلقهما إلى داخل كابينة السائق ، مسدِّدًا



وبحركة من حركات الجمباز ، رفع قدميه بزاوية قائمة ليطلقهما إلى داخل كابينة السائق ، مسدِّدًا له ضربة عنيفة ..

له ضربة عنيفة فى وجهه . وأتبع ذلك بأن انساب بجسده بأكمله داخل (كابينة) القيادة ، وسدّد له لكمة أخرى هائلة ، جعلت عينيه تدوران فى محجريهما ..

ثم تحايل على الباب الأيمن وألقى بالسائق من السيارة على الأرض ..

وعاد يدير محرّك السيارة بسرعة ، لينطلق بها لا يلوى على شىء ..

كان عقله يسابقه فى أثناء القيادة .. ونظر إلى الصحراء الشاسعة حوله ، وقرّر أن يتخذ الاتجاه العكسى .

لكن أين يذهب ؟ وأين يمكنه أن يختبئ ؟ وكم من الوقت ستحتاج إليه المخابرات (الأسترتانية) ورجالها ، لترتيب حصار الطرق ؟ .

كان قد أصبح فى مواجهة خطر كبير .. لكن عليه أن يفرّ من هذا الجحيم على أى نحو .

وفتح (التابلوه) الداخلى للسيارة ليلتقط المسدس ... سيشق طريقه بالرصاص إن استدعى الأمر .

ولم تكد تتراءى له أول نقطة عمران ، حتى تخلّى (ممدوح) عن السيارة ، التى لابدّ أنّ أوصافها قد أصبحت معروفة الآن ، لدى جميع أجهزة الشرطة فى هذا البلد .

وأكمل المسيرة على قدميه ، حتى بلغ طريقًا أسفلتيًا ممهّدًا يخترق الصحراء .. ووقف يدير ناظريه إلى جانبى الطريق متردّدًا .

ثم لاحت له الأنوار الأمامية لسيارة قادمة على الطريق ، فأخذ يلوّح لها بيده لتتوقّف ، ولكنها عبرت أمامه سريعًا .

وتكرّر الأمر نفسه مع سيارة أخرى ؛ إلى أن توقّفت له أخيرًا سيارة نقل قديمة ، يقودها سائق بدين ، ذو شعر مشعّث وثياب قذرة بالية ..

وقال له السائق :

ـــ إلى أين أنت ذاهب ؟ .

ممدوح :

ـــ ما وجهتك ؟ .

السائق :

ـــ أنا ذاهب إلى (كاتون) .

ممدوح :

ـــ حسنًا .. خذنى معك .

السائق :

ـــ اركب سريعًا .

وفتح (ممدوح) باب السيارة ، ثم صعد إلى المقعد المجاور للسائق ، الذى انطلق بسيارته سريعًا .

سأله السائق قائلًا :

ـــ ماذا أتى بك إلى هذه الصحراء الجرداء ؟ .

ممدوح :

ـــ لقد تعطلت سيارتى ، وضللت الطريق .

السائق :

ـــ ولكن أين تركت سيارتك ؟ .

ممدوح :

ـــ فى مكان قريب من هنا .. أرجو أن تؤجل أسئلتك لما بعد .. فأنا أشعر بتعب وإرهاق شديدين .

السائق :

ـــ كما تحبّ .

وتساءل (ممدوح) فى نفسه :

ـــ تُرَى .. ماذا يخبئ له القدر ؟ وماذا ينتظره فى (كاتون) هذه ؟ . إن الخطر سيظل محدقًا به فى كل مكان يذهب إليه .. وما دام لم يزل فوق أرض (أسترتان) ، فإن كل وجهة يتوجّه إليها هى جزء من (عرين الأسد) .

وتحسَّس المسدس الذى كان قد استولى عليه من (تابلوه) سيارة السجن ، وأخفاه خلف ظهره ، ليتأكَّد من قدرته على انتزاعه فى الوقت المناسب ..

★ ★ ★



٦ ــ الفخّ ..

كانت الساعة قد شارفت الثانية والنصف صباحًا ، حين أحسّ (ممدوح) بأن ارتجاج المحرّك يهزه من فرعه إلى قدمه .. كان السائقُ يقود السيارة بسرعة لا تتفق مع نوعها وطرازها القديم .

ونظر (ممدوح) إلى عدّاد السرعة ، فوجده قد تجاوز المائة كيلومتر فى الساعة .. وشعر بنغمة المحرّك وقد تغيّرت ، فطلب من السائق أن يهدّئ السرعة .. لكن الرجل لم يستجب له ، بل أخذ يصفر ويصرخ ، وهو يقود سيارته بجنون ، وكأنه فى سباق دولىّ للسيارات .

قال (ممدوح) لنفسه :

ــ هذا ما كان ينقصنى : أن تلقى بى المقادير إلى رجل مجنون ، أو متهوّر ، إلى حدّ الجنون .

كانت سيارة النقل قد تجاوزت الطريق الصحراوى ،

مخترقة طريقًا تظلّه الأشجار الكثيفة من الجانبين ، ويختلف كليّة عن الطريق السابق .

قال السائق لـ (ممدوح) وهو يضحك ضحكة هستيرية :

ــ لم يبق أمامنا سوى ستين كيلومترًا فقط ، حتى نصل إلى (كاتون) ، وسوف أكسب الرهان من زميلى (شاريت) ؛ فقد راهنته على أن أسبقه فى الوصول ، برغم الطراز الحديث لسيارة النقل التى اشتراها مؤخرًا ..

ثم جعل يصفّق بيديه .. فصرخ فيه (ممدوح) قائلًا :

ــ انظر إلى الطريق أمامك ، ولا تبعد يديك عن عجلة القيادة .

وحاول السائق المتهوِّر أن يمسك بعجلة القيادة ، ولكن الوقت كان قد فات .. فقد اندفع (اللورى) إلى أحد جانبى الطريق بعد أن أفلت زمامه ، وأصبحت عجلاته تكاد تطير أسفله ليقفز بين الأشجار الكثيفة .

وفتح (ممدوح) باب السيارة لينحـــدر منها على الأرض ، متدحرجًا فوق بعض الشجيرات الكثيفة ، التى قلَّلت من قوة اندفاعه .. ونظر مصعوقًا إلى سيـــارة (اللورى) وقد تهشَّمت مقدمتها تمامًا إثر اصطدامها بشجرة سنديان ضخمة ، لتنقلب على ظهرها ، على حين ظلَّت عجلاتها تدور من شدة الاندفاع .

وتناهض (ممدوح) ، واتجه لمساعدة السائق ، ولكن الوقت كان قد فات .. فقد انفجر خزَّان الوقـــود ، واستحالت السيارة إلى كتلة من اللهب .. وأيقن أنه خلال دقائق ستكون سيارات الشرطة قد ملأت المكـــان ، وسيصبح من الخطر أن يروه هنا .

أسرع يشق طريقه بين الأشجار ، مخترقًا غابة كثيفة .. وبعد مسيرة طويلة مضنية على قدميه شعر بأنه يكاد يكبو إعياءً ، بعد أن أخذ منه التعب والإرهاق كل مأخذ ..

وتذكَّر أنه لم يتناول شيئًا من الطعام أو الشراب منذ الصباح ، وأحسَّ بالجوع يكاد ينهش أمعاءه .. فأخذ يجر

قدميه جرًّا ، إلى أن سقط منهارًا إلى الأرض ، بعد أن أصبح لا طاقة له بمواصلة السير ، وشعر بالضباب يكتنف رأسه ، وشيئًا فشيئًا زايله الإدراك ثم غاب عن الوعى ، وسط الحشائش الكثيفة ، والأشجار المتشابكة .

* * *

لم يشعر (ممدوح) بتلك الأفعى القاتلة ، وهى تزحف من فوق إحدى الأشجار ، التى سقط أسفلها ، لتقترب منه فى بطء استعدادًا للانقضاض عليه بأنيابها الفتاكة ، إلَّا عندما سمع طلقة تدوِّى فوق رأسه ، لتمزِّق سكون المكان .

ففتح (ممدوح) عينيه ليجد أمامه رجلًا متوسط الطول والحجم ، فى حوالى الأربعين من عمره ، ذا شارب كثيف ، يرتدى حُلَّة الصيادين ، وقد أمسك بالبندقية بين يديه قائلًا لـ (ممدوح) :

ــ إنك محظوظ يا صديقى .. فنادرًا ما أمرّ بهذا الطريق من الغابة ، لكن يبدو أن الأقدار قد ساقتنى إلى هنا

فى الوقت المناسب لإنقاذك من أنياب تلك الأفعى السامّة ..

ونظر (ممدوح) إلى الأفعى الملقاة جواره ، وإلى الرجل وضوء الشمس الذى اخترق جزء منه أشجار الغابة .

قال للرجل بصوت ضعيف :

ــ كم الساعة الآن ؟.

الرجل :

ــ التاسعة صباحًا .

قال (ممدوح) لنفسه مردِّدًا :

ــ التاسعة صباحًا ؟! لقد نمت ست ساعات كاملة فى هذه الأحراش الكثيفة ، دون أن أشعر .

وساعده الرجل على النهوض قائلًا :

ــ اسمى (جارو) ، وأعمل حطّابًا فى هذه الغابة .. إنك تبدو فى حالة يرثى لها .. هل أنت واقع فى مشكلة ما ؟.

أجابه (ممدوح) فى إعياء :

ــ أريد أن آكل أى شىء أوّلًا ، فإنى أكاد أموت جوعًا .

جارو :

ــ حسنًا .. هيَّا نذهب إلى منزلى .

وساعده على السير حتى بلغا سيارة (چيب) قديمة ، تقف بحافة الغابة .. وركب (ممدوح) إلى جواره ، وهو يتحسَّس مسدسه الذى لم يجده مكانه .. فقال لنفسه :

ــ لابدَّ أنه سقط فى أثناء تدحرجى من السيارة .

وظلت السيارة (الچيب) تسير بهما فوق طريق ترابىّ ضيِّق ، يخترق الأحراش .

ولاحظ (ممدوح) فى أثناء تحرُّك السيارة ، وجود شريط للسكك الحديدية على مرمى البصر ، بالقرب من حافة الغابة .

وأخيرًا أوقف (جارو) السيارة ، بعد مسيرة ثلث ساعة ، قائلًا له :

ــ تفضَّل .

ونظر (ممدوح) أمامه ، فرأى كوخًا خشبيًّا منخفضًا ، وإلى جواره مخزن للأخشاب ، شيِّد هو الآخر على هيئة كوخ أكبر حجمًا .

قال له (جارو) :

ــ تستطيع أن تستريح هنا حتى أعدّ لك الطعام .

كان الرجل يبدو كمن يعيش عيشة بدائية .. فقد كان الأثاث قليلًا ، وهناك عدد من مواقد الكيروسين ، تملأ المكان .. وفرن صغير لإعداد الطعام .

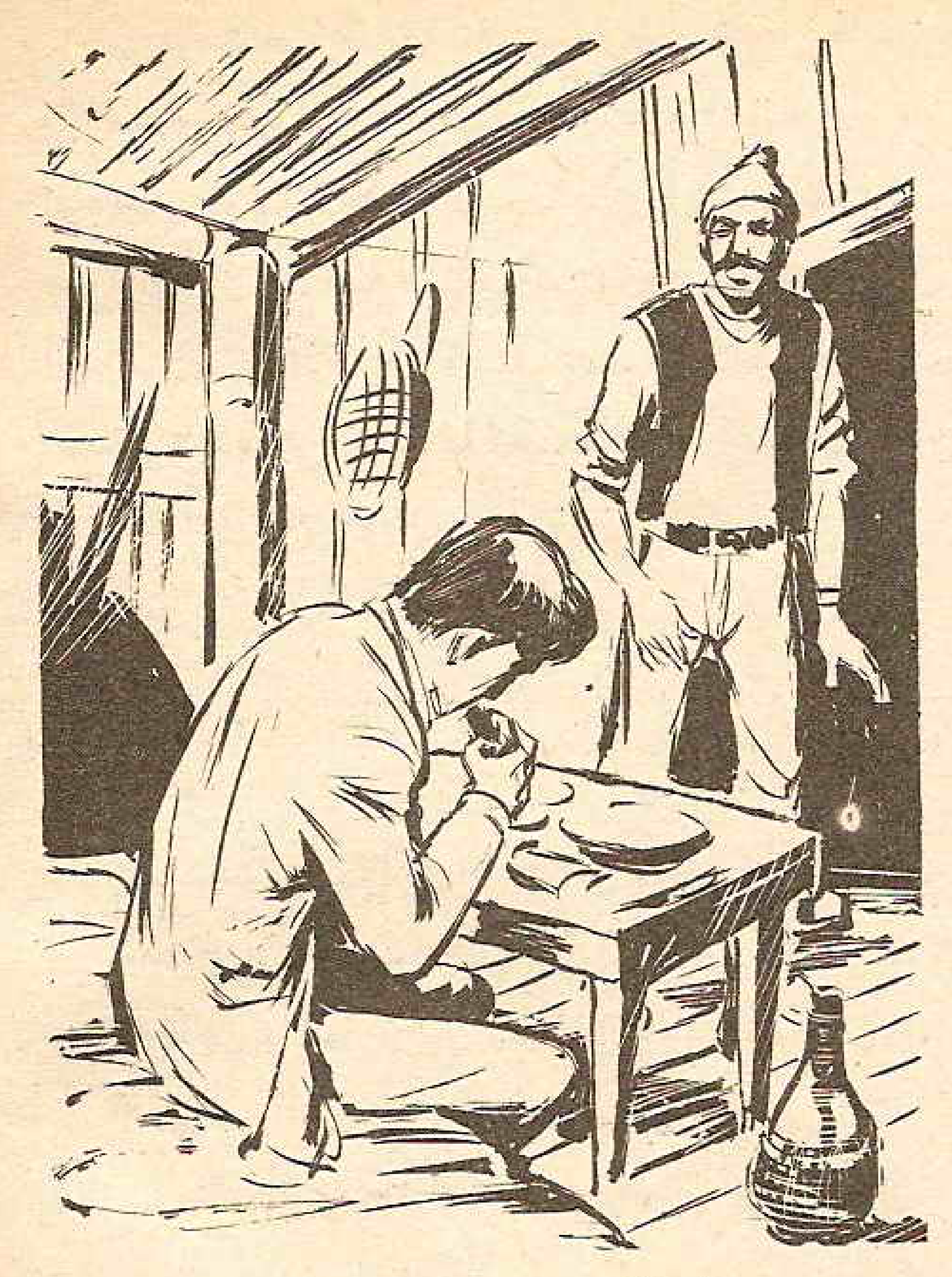
وتمدَّد (ممدوح) فوق حشيَّة صغيرة ، وضعت على الأرض ، وجعل يحدِّق فى السقف الخشبىّ ، غير متمالك وعيه تمامًا ..

وبعد قليل أقبل (جارو) ببعض الطعام والشراب ، فأسرع إليه (ممدوح) فى نهم بالغ ، كمن لم يذُق طعامًا منذ عدة أشهر .

وبعد أن فرغ (ممدوح) من الطعام ، نظر إلى (جارو) قائلًا :

ــ معذرة إليك .. فقد نسيت من شدة الجوع والتعب أن أشكر لك ما فعلته معى .

قال له (جارو) مبتسمًا :



وبعد قليل أقبل (جارو) ببعض الطعام والشراب ، فأسرع إليه (ممدوح) فى نهم بالغ ..

— لقد فعلت ما يمليه علىّ ضميرى .. إننى حطّاب ، والحطّاب يجب أن يكون قويًا ، ليستطيع أن يتعامل مع الأشجار الصلبة ، ولكنه ليس بالضرورة غليظ القلب .. فمن جهتى لا أستطيع أن أتخلّى عن واجب المساعدة حيال أى إنسان .. والآن إذا كانت لديك مشكلة ، وترى أن تحدّثنى عنها فكلّى آذان صاغية .. أما إذا كنت لا ترغب فى ذلك فلن ألحّ عليك .

ممدوح :

— أرجو أن تعفينى من هذا .

الحطّاب :

— كما تشاء .. ولكن ألّا تعرفنى باسمك على الأقل ؟.

ممدوح :

— وهذه أيضًا أرجو أن تعفينى منها ..

الحطّاب :

— يبدو أن وراءك الكثير من الأسرار أيها الصديق .

ونهض (ممدوح) قائلًا :

— أشكر لك مرة أخرى .. والآن سأنصرف .

جارو :

— إلى أين ؟ . إنك ما زلت تبدو متعبًا .. تستطيع أن تبقى هنا حتى تستردّ قواك .

ممدوح :

— إننى أشعر بتحسُّن ، ولا أودّ أن أسبِّب لك ضيقًا أكثر من هذا .

جارو :

— أى ضيق ؟.. إننى هنا وحيد كما ترى ، وأبحث عمّن يسلّينى فى وحدتى ، ولو لبضع ساعات .. وها قد أرسلتك السماء لى ، ثم إنك بحاجة إلى مزيد من الراحة .. استرح هنا ، وحاول أن تغفو قليلًا ، حتى أنتهى من قطع بعض الأشجار فى منطقة قريبة ، ثم أعود إليك .. وسوف أعدّ لك طعامًا فاخرًا ، يعوّضك عن الطعام الردىء القليل ، الذى قدمته لك الآن فى عجالة .

وغادر الكوخ دون أن يدع لـ (ممدوح) فرصة مناقشته .

تعجَّب (ممدوح) من إصرار الرجل على بقائه ..
ولكنه كان لم يزل بالفعل بحاجة إلى المزيد من النوم .. فألقى بجسده المتعب فوق الحشيَّة الصغيرة ، ليستسلم لنوم عميق .

لم يدر (ممدوح) كم من الوقت مرَّ عليه فى أثناء غفوته .. لكنه أفاق فجأة من النوم على صوت نعيق غراب يمرق بالقرب من الكوخ .. وانتابه إحساس غريزى بالقلق ، لا يدرى سببه .

كانت جميع نوافذ الكوخ مغلقة ، وأحسَّ بحاجته لاستنشاق بعض الهواء النقى ؛ فحاول فتح نافذة من النوافذ ، لكنه وجدها مغلقة من الخارج بمزلاج خشبىّ ، وكذلك كانت النوافذ جميعها .

أسرع نحو الباب يحاول فتحه ، ولكنه وجده موصدًا من الخارج أيضًا . وأدرك (ممدوح) أن حاسّته لم تخنه ، وأن هناك شيئًا غير عادى يدور حوله .. وأسرع يقلّب فى محتويات الكوخ ، محاولًا العثور على شىء يعينه على فتح الباب .. ولكنه بدلًا من ذلك ، عثر على جريدة مطويّة ، مخفاة أسفل ملابس صاحب الكوخ وفى صوانه .

كانت جريدة مسائية .. وعندما ألقى عليها نظرة عاجلة ، أدرك السبب الذى من أجله أنقذه (جارو) ، وجعل يصرّ على بقائه بكوخه .

لقد كانت صورته تتصدَّر الجريدة ، وأسفلها إعلان يمنح مكافأة تعادل (عشرين ألف دولار) لمن يساعد فى القبض عليه .

قال لنفسه :

ـــ إن مخابرات (أسترتان) لم تُضع الوقت .. وذلك الوغد المخادع أيضًا .. فقد مضى لاستدعائهم من أجل الحصول على المكافأة .

وبينما هو يبحث لنفسه عن مخرج ، سمع صوت محركات لسيارات مقبلة من بعيد .

* * *



٧ ـ الحصـــار ..

فى خلال الدقائق التالية ، كان المكان يغص برجال المخابرات ، ومعهم جميع أنواع الأسلحة .

صاح (جارو) قائلًا :

ـ أمر لا يصدَّق .. لقد استطاع أن يحطِّم باب الكوخ .

قال له أحدهم :

ـ لو كنت قد أخفيته فى مكان ما ، محاولًا كسب المزيد من المال ، فاعْلَم أن كوخك الحقير هذا وحياتك رهن بالعثور على ذلك الرجل .

قال له (جارو) جزعًا :

ـ أقسم أننى قد تركته داخل الكوخ ، بعد أن أغلقت عليه الباب والنوافذ .

وأشار محدِّثه إلى باقى الرجال قائلًا :

ـ فتِّشوا المكان جيِّدًا .. أريد منكم أن تقلبوا كل شىء رأسًا على عقب .

وانتشر الرجال ينقِّبون المكان ، ويفتِّشون كل ركن فيه .. وقام بعضهم بالبحث داخل مخزن الأخشاب .. لكنهم لم يعثروا لـ (ممدوح) على أثر .

وبينما كان أحدهم يهمّ بمغادرة مخزن الأخشاب .. لمح جزءًا من ظل خفيف ينعكس على الأرض ، وقد كشفت عنه أشعة الشمس ، التى اخترقت ثقبًا من السقف الخشبىّ المهترئ .

فاستدار الرجل مصوِّبًا مسدسه إلى أعلى ، ليكشف وجود (ممدوح) ، الذى كان مختفيًا فوق مجموعة عالية من جذوع الأشجار المقطوعة ، وقد ألصق ظهره بجدار أحد الأركان ، فى حين كان الجزء الأكبر من جسده مغطًّى بالقشّ ، الذى كان يملأ أرجاء المخزن ..

ولم يكد (ممدوح) يشعر بكشف الرجل له ، حتى ألقى بنفسه من فوق جذوع الأشجار ، ليسقط على

الرجل ، ملقيًا به على الأرض ، دون أن يتيح له فرصة استخدام مسدسه وبلكمات سريعة حاسمة أفقده وعيه ، ثم قام يجره على الأرض محاولاً إخراجه من المخزن ، بعد أن استولى على مسدسه ..

ولمح أحد الرجال الآخرين ما حدث ، فصرخ فى زملائه قائلاً :

ـــ إنه فى مخزن الأخشاب .

وأسرع يصوِّب بندقيته نحو (ممدوح) ، طالبًا منه الاستسلام .

لكن (ممدوح) عاجله بطلقة سريعة ، وأسرع بالدخول إلى مخزن الأخشاب مرة أخرى .. واندفع باقى الرجال نحو المخزن .. لكن (ممدوح) ألقى بكمية ضخمة من الخشب والقشّ فى مدخل الباب ، وألقى فوقها بموقد الكيروسين ، الذى أحضره من الكوخ ، ثم ألقى بعود ثقاب مشتعل فوق القش والخشب المبلّل بالكيروسين ، ليشتعل مدخل المخزن الذى سدَّته ألسنة اللهب تمامًا .

وتوقَّف الرجال عند المدخل ، حيارى أمام النار المشتعلة التى حالت بينهم وبين اقتحام المكان .

قال أحدهم :

ـــ إنه مجنون .. فسوف يحترق بالداخل حتمًا .

قال آخر بغلظة :

ـــ أو يخنقه الدخان ، فيندفع خارجًا لنصطاده برشّاشاتنا .

قال قائدهم :

ـــ لا .. إن الأوامر لدينا تقضى بالقبض عليه ، وعدم قتله بأى حال من الأحوال .

ثم أردف فى خبث :

ـــ لكنهم لم يأمرونى بمنعه من قتل نفسه .. فإذا أراد أن يقضى نحبه بالدخل ، فلن أتدخَّل لمنعه ، وسأكتفى بتسليمهم جثته متفحِّمة .

هذا والحطّاب يشدّ شعره ، ويندب حظه قائلاً :

ـــ لقد ضاع كل شىء .. لقد احترق مخزنى .

كان (ممدوح) فى أثناء ذلك قد تسلَّق جذوع الأشجار المرصوصة ، التى تكاد تصل إلى السقف .. وكانت النيران قد بدأت تنتشر فى المكان ، والدخان يكاد يخنقه .. ولكنه راح يقاوم ، حتى أمكنه باستخدام فأس حادَّة وجدها داخل المخزن ، أن يحطِّم الجزء المهترئ من السقف الخشبىّ للمخزن ، وبمشقة بالغة استطاع أن ينفذ من خلال الفجوة الضيقة ، التى تحايل على صنعها باستخدام الفأس ، ليصعد زاحفًا فوق السقف .

كان رجال المخابرات والشرطة ومعهم (جارو) واقفين أمام المخزن ، وقد ركَّزوا كل انتباههم على مدخل المخزن ، باعتبار أنه ليس هناك مخرج آخر ، كما أخبرهم (جارو) .

من أجل ذلك لم يلحظوا (ممدوح) وهو يزحف فوق سقف المخزن ببطء ، ويتعلق بإحدى الأشجار القريبة ، ويختفى بين أغصانها المتشابكة ..

وهكذا أفلت (ممدوح) من المكان فى الوقت المناسب ، وبعد أن بدأت النيران تلامس السقف الخشبىّ لتأتى عليه .



من أجل ذلك لم يلحظوا (ممدوح) وهو يزحف فوق سقف المخزن ببطء ..

أخذ (ممدوح) يتنقل بخفَّة وحذر من شجرة إلى أخرى ، محاولًا الابتعاد ما وسعه ، فى الوقت الذى كان فيه الرجال ينتظرون انتهاء الحريق ، للبحث عن جثته .

وأخيرًا هبط (ممدوح) إلى الأرض ، ليعدُوَ بأقصى سرعته داخل الغابة ، قبل أن يدرك الآخرون حقيقة هروبه ، ويبدءُوا فى الانتشار بين الأحراش بحثًا عنه .

وصل (ممدوح) إلى حافة الغابة ، حيث رأى شريط السكك الحديدية ، الذى لمحه فى أثناء ركوبه سيارة الجيب مع الحطَّاب ..

وفجأة بدا له وكأن القدر قد أرسل له طوق النجاة ، الذى ينقذه من ملاحقة رجال المخابرات (الأسترتانية) له .. فقد لمح قطارًا قادمًا من بعيد ، وهو يتهادى ببطء ليتوقَّف قليلًا ، استعدادًا لاستئناف سيره ، بعد أن قامت سيارة (لورى) بتفريغ شحنة من الأخشاب فى إحدى عرباته .

وأسرع (ممدوح) يعدُو بأقصى سرعته ، بعد أن استدارت السيارة عائدة ، ليتعلَّق بالقطار فى أثناء تحركه فى اللحظة الأخيرة .

كان القطار مكوَّنًا من مجموعة من العربات الصغيرة المكشوفة ، والمخصصة لنقل الأخشاب من الغابة إلى إحدى المدن .

واستلقى (ممدوح) فوق جذوع الأشجار الضخمة بإحدى عربات القطار ، مستسلمًا للمجهول .. فأيًّا ما كانت الجهة التى سيمضى إليها القطار ، فلا ريب أنها تكون أفضل من هذه الغابة اللعينة ، التى يملؤها ذئاب المخابرات (الأسترتانية) .

* * *



٨ ــ طريق الحدود ..

مرّت قرابة نصف الساعة ، وبينما كان (ممدوح) مستلقيًا فوق جذوع الأشجار فى عربة القطار ، انتبه فجأة لأزيز طائرات هليكوبتر تقترب محلقة فى الجوّ .

وتوجس خيفة .. فربما تكون هذه الطائرات قد أرسلت للقيام بعملية تمشيط للمنطقة بحثًا عنه .

وصدق إحساسه ، فما هى إلّا دقيقة ، حتى كانت هناك ثلاث من طائرات الهليكوبتر تحوم فوق المكان .

حاول أن يجد لنفسه مكانًا يخفيه عن الأنظار بين جذوع الأشجار .. خاصّة وأن تلك العربات المكشوفة التى ليست لها أسقف ، تجعله هدفًا سهلًا .

لكن الوقت كان قد فات ، فقد لمحته إحدى الطائرات .. حيث أشار الطيّار الجالس بداخلها لزميله إلى عربة القطار قائلًا :

ــ ألمح شخصًا يتحرّك داخل إحدى عربات قطار الأخشاب أسفل .

قال له زميله :

ــ اهبط بالطائرة قليلًا لنتحقّق من شخصيته .

وأخذت الطائرة تهبط من ارتفاعها ، تحوم فوق العربة التى يجلس (ممدوح) بداخلها .

ونظر زميل الطيّار من خلال المنظار المكبّر إلى (ممدوح) ليصيح بانفعال :

ــ إنه هو .. إنه الشخص المنشود ..

تساءل الطيّار :

ــ وماذا نفعل الآن ؟ .

ــ سأطلق عليه بضع طلقات للإرهاب ؛ فالأوامر الصادرة تشدّد على عدم قتله .. وعليك أن تتصل بـ (هنتر) لإيقاف القطار ، وإعطاء إشارة للطائرات الهليكوبتر ، بأننا قد عثرنا على الهدف .

كان القطار فى ذلك الوقت يسير فوق أحد الكبارى المعلّقة ، التى تطل من ارتفاع على بحيرة واسعة ..

وعندما بدأت الطلقات تنهال من الطائرة ، على عربة القطار التى يستقلّها (ممدوح) ، لم يجد أمامه بُدًا من إلقاء نفسه من العربة فى أثناء مرورها فوق الكوبرى ، ليسقط من ارتفاع شاهق فى مياه البحيرة .

غاص (ممدوح) فى أعماق المياه .. وأخذ يسبح ببطء .. لكنه لم يكد يطفو برأسه فوق السطح للحصول على بعض الهواء ، حتى وجد طائرات الهليكوبتر تحلّق فوق سطح الماء ، لتطلق نيران رشاشاتها عليه ، فتنهمر حوله ، وقد شقت صفحة المياه ..

وعاد (ممدوح) يغوص فى الماء من جديد ، محاولا الاقتراب من أسفل الكوبرى ، ليحتمى به من طلقات الرصاص التى تحاصره .. وفى كل مرة يصعد فيها برأسه فوق السطح كان يحاول الحصول على شهيق عميق ، للاحتفاظ بأكبر قدر من الهواء ، يساعده على الاستمرار فى السباحة تحت الماء .

وبعد مجهود استطاع أن يبلغ أسفل الكوبرى المعلّق ، وأخذ يتسلّق جدرانه الحديدية .. والتصق بأحد أعمدة الكوبرى أسفله تمامًا ، بحيث تحجبه عن طائرات الهليكوبتر ، وتحول بينها وبين الوصول إليه لاصطياده بمدافعها .

وظلت الطائرات تحوم حول الكوبرى ، فى حين كان (ممدوح) ملتصقًا بالعمود الحديدى ، وقد شملته الرعدة من شدة برودة المياه والهواء البارد الذى بدأ ينفذ إلى عظامه ، مع اقتراب الغروب .

وكان اليأس قد بدأ يتسرَّب إليه للمرة الأولى .. فهو لن يستطيع أن يظل طويلًا فى هذا المكان .. وما داموا قد عرفوا مكانه ، فلابدَّ أنهم سيصلون إليه بوسيلة أو بأخرى .. خاصَّة لو كانوا قد بدءُوا فى فرض حصارهم على المنطقة ، وفوق الكوبرى المعلَّق وأسفله .

وبعد برهة ، سمع (ممدوح) صوت أزيز الطائرات تبتعد ، إلى أن اختفى الصوت تمامًا .. وقرَّر أن يتسلَّق

الكوبرى ليصعد إلى أعلى ، مهما كانت المخاطر التى تنتظره فوقه .. ولشد ما كانت دهشته عندما تسلَّق الكوبرى ، وبلغ أعلاه وتبيَّن عدم وجود أحد فوقه

قال لنفسه :

ـــ ربَّما أنهم يفرضون الآن حصارًا على مدخل الكوبرى ونهايته .. مهما كان الأمر فسأواصل السير على قدمىّ ، حتى لو كانت لجنة منهم فى انتظارى .. فهذا أفضل من بقائى هنا ، فى انتظار أن يطبقوا علىّ من الجهتين ، أو من السماء .

وأخذ يسير فوق شريط السكك الحديدية حتى بلغ نهاية الكوبرى .. لكنه لم يجد أحدًا فى انتظاره .

وبدا له الأمر غريبًا محيِّرًا .. فمخابرات (أسترتان) ليست من السذاجة على النحو الذى يمنعها من فرض حصار فورى على منطقة من المناطق ، بواسطة رجالها ، وخلال دقائق معدودة .. كما أن وسائل اتصالاتها لا تقع تحت حصر .. فلا ريب أن (ماكس) هذا رئيس مخابراتهم ،

قد أصبح يعلم الآن وهو فى مكتبه بمكان وجوده على وجه اليقين .. هذا فضلًا عن طائرات الهليكوبتر التى كانت تحلِّق فوقه منذ قليل .. أين هى إذن ؟!

وأخذ (ممدوح) يسير فوق منطقة عشبية ، وهو يتطلَّع حواليه فى حذر وتوجُّس .. وفجأة برز له شخص من خلف إحدى الأشجار الضخمة المتفرِّقة ، التى كانت تتناثر على أحد جانبى الطريق .

كان رجلًا ذا أكتافٍ قويَّة عريضة ، يتميَّز بجسد رياضى ، برغم سنه المتقدِّمة .. وكانت يده تطبق على مسدس مصوَّب نحو (ممدوح) .

بادره الرجل قائلًا :

ـــ مرحبًا بك يا سيادة المقدم .. لقد أرهقتنا كثيرًا من جرَّاء الجرى وراءك من مكان لآخر .. ضع يديك فوق رأسك ..

فابتسم (ممدوح) ، قائلًا له وهو يرفع يديه فوق رأسه :



فابتسم (ممدوح) ، قائلًا له وهو يرفع يديه فوق رأسه :
ـ هكذا يكون الأمر منطقيًا ..

ـ هكذا يكون الأمر منطقيًّا .. فمن غير المعقول أن أجتاز كل هذه المسافة الطويلة ، ولا أجد أحدًا منكم فى استقبالى ..

وبادله الرجل الابتسامة قائلًا :

ـ إننى معجب بروحك المرحة ، برغم أن كل الظروف الآن لم تعد فى صالحك .. أعرفك بنفسى أنا الجنرال (بيتا) ، رئيس الوحدة الرابعة بإدارة المخابرات الأسترتانية .

قال له (ممدوح) ساخرًا :

ـ إنه لشرف كبير أن يرسلوا لى بجنرال .. لكننى أراك بدون قواتك .. ألا تخشى أن أكون مصدر خطر عليك ، برغم مسدسك هذا المصوِّب نحوى ؟ .

الجنرال :

ـ إننى لا أخشاك على الإطلاق ، حتى بدون المسدس .. أما بالنسبة لرجالى ، فقد أُرْسِلْتُ إلى هنا على رأس ثلاثين رجلًا من أجل القبض عليك .. ولكنى رأيت

أنك لا تستحق كل هذا العدد من الرجال ، فأصدرت إليهم أوامرى بالبحث عنك فى منطقة أخرى بعيدًا عن هذا المكان .. وجلست فى انتظارك ؛ لأننى كنت أعرف أنك لابدَّ ستأتى إلى هنا .

ممدوح :

ـــ كان يجب أن تكون أكثر حذرًا من ذلك ، فأنا لا أنوى أن أعود إلى سجنكم مرة أخرى ، وأفضِّل الموت على ذلك .

وقال له الجنرال فى صرامة :

ـــ إنك لست بحاجة لتعريض نفسك للموت ، كما أننى لا أنوى أن أذهب بك إلى سجن المخابرات .. وإنما على العكس من ذلك ، سوف أساعدك على اجتياز الحدود القريبة ، ومغادرة (أسترتان) بأسرها .

قال له (ممدوح) بسخرية :

ـــ هل هى خدعة جديدة تدبِّرونها ؟ .

الجنرال (بيتا) :

ـــ إنه عرض جدِّىّ أعرضه عليك ، ولكنه سيكون مشروطًا بشرط ..

تكلَّم (ممدوح) بارتياب :

ـــ وما هذا الشرط ؟ .

الجنرال :

ـــ ستعرفه حالًا .. ولكن دَعْنا أوَّلًا لا نضيع الوقت .. إن سيارتى تقف على مسافة قريبة من هنا .. ونحن الآن فى منطقة قريبة من حدود دولة محايدة .. وعلينا أن نسرع ، قبل أن يدرك الآخرون أنى قد خنتهم .

* * *



٩ ـ ارتياب وشكوك ..

قال الجنرال (بيتا) لـ (ممدوح) فى أثناء قيادته السيارة :

ـ ربما أنك لا تعرف الكثير عن جهاز مخابراتنا .. إنه جهاز رهيب ، لا يرحم أحدًا ، سواء من أعدائه أو رجاله الذين يخطئون .. لقد ارتكبت عددًا من المخالفات المالية الضخمة ، وقمت بعمليات تهريب لبعض الأموال الخاصّة بجهاز المخابرات إلى الخارج لحسابى ، معتمدًا فى ذلك على السلطات المخولة لى فى هذا الجهاز .. ولكنهم بدءوا أخيرًا يشكون فى تصرُّفاتى المالية ، ويقلّلون من سلطاتى ، وهم فى طريقهم الآن لإجراء تحقيق موسّع فى هذا الشأن ، ولا بدّ أنهم سيكشفون الحقيقة .. وإذا ما كشفوها فلن أنجو منهم ، ولن أجد فى هذا العالم كله مكانًا ألجأ إليه ، ليحمينى من شرورهم .. إلّا إذا كان هذا المكان فى دولة معادية لـ (أسترتان) ، ولديها جهاز أمن على مستوى عالٍ

يحول دون وصول عملائهم إلىّ ..

لذلك فكّرت فى مصر .. إنكم لا تريدون تسليم عميل هام مثل (جريفز) إلى (أسترتان) .. ولكنكم مضطرون إلى الموافقة على ذلك فى مقابل أن تعود أنت إليهم ، نظرًا لما تمثّله أنت الآخر من أهمية لأجهزة الأمن فى بلادك ..

إننى سأجعل بلادك تحتفظ بذلك الجاسوس ، الذى ألقيتم القبض عليه ، ولا ترغبون فى تسليمه ، وفى نفس الوقت سأعيدك إليهم سالمًا .. بل أكثر من ذلك سأضع نفسى فى خدمة جهاز المخابرات المصرية ، والمكتب (١٩) ، وبقية أجهزة الأمن الأخرى ، فى مقابل شرط واحد ، أن توافق دولتك على منحى حقّ اللجوء السياسى ، واسترداد الأموال التى هربتها إلى البنوك الأوربية .

ونظر إليه (ممدوح) .. ولم يُحرْ جوابًا .. ثم قال أخيرًا وبعد تردد :

ـ وإذا رفضت الموافقة على شرطك ؟

الجنرال :

ــ حسنًا .. سأضغط على جهاز لاسلكى هنا فى السيارة ؛ لأحدِّد لهم موقعى بدقَّة ، ثم أستدير عائدًا بها فى الاتجاه العكسى للحدود ، وإلى أقرب وحدة تابعة لمخابرات (أسترتان) .

قال له (ممدوح) وعلى وجهه علامات التفكير :

ــ على كل حال .. أنا لا أملك مثل هذا الأمر ، وإنما هو من اختصاص الجهات المسئولة فى مصر .

الجنرال :

ــ إننى مستعد للمخاطرة .. لو وعدتنى بأنك ستقدم توصية بالموافقة على طلبى .

ممدوح :

ــ أتعتقد أننا سنستطيع حقًّا اجتياز الحدود بهذه السهولة ؟ وماذا عن الدولة الأخرى ؟ .

الجنرال :

ــ دَعْ هذا الأمر لى .. إننى ما زلت أملك بعض النفوذ ، وسوف تجد فى مؤخرة السيارة جوازات سفر مزوَّرة

خاصة بك وبى .. كما أنه قد تم حجز تذكرتين فى الطائرة التى ستقلع هذه الليلة من البلد الأخرى إلى مصر .

ونظر (ممدوح) إليه نظرة فاحصة ، وهو يقول :

ــ يبدو أنك عملت حسابًا لكل شىء .

وفى هذه الأثناء كانت السيارة قد اقتربت من الحدود ، حيث أوقفها الجنود القائمون بالقرب من المتاريس الحديدية .

ولم يكد الجنرال (بيتا) يبرز لهم بطاقته ، حتى وقف ضابط الحدود له باحترام ، مؤدِّيًا التحية ، وأشار إلى جنوده برفع المتاريس ، وإفساح المجال أمام السيارة التى انطلقت فى طريقها إلى حدود الدولة الأخرى ..

وعند الوصول إلى حدود الدولة الأخرى أبرز الجنرال لجنود الحدود هناك الجوازات المزوَّرة ، وعليها تأشيرة دخول الدولة لكل منهما ، مما سهَّل له اجتياز حدود تلك الدولة أيضًا .

وأدرك (ممدوح) أنه بصحبة شخصية لها نفوذها الحقيقى .. وأخذ يفكِّر فى أول شىء لابُدَّ أن يفعله ، هو

أن يتعلّل بأى عذر ، عندما يصل إلى عاصمة هذه الدولة ، لكى يهرب من رقابة ذلك الجنرال ، ولو لمدة خمس دقائق ، حتى يتمكّن من الاتصال بالقاهرة ، وإبلاغ المكتب (١٩) بحضوره ومعه ذلك الجنرال .. حتى لو اضطر إلى إجراء هذه المكالمة أمامه ، فإنه سيستخدم لغة الشفرة ، التى يعرفونها فى الإدارة ، لإبلاغهم بمدى خطورة هذا الشخص ، ومدى استعداد القاهرة لاستقباله أو اعتقاله فى المطار ، حسبما يتراءى للمسئولين .. فهذا الرجل لا يزال موضع شك كبير بالنسبة له ، وهو لا يصدّق شيئًا مما قاله عن تهريب الأموال . والمخالفات الماليّة .

* * *

وصل (ممدوح) أخيرًا إلى القاهرة ، حيث وجد مجموعة كبيرة من زملائه فى انتظاره فى المطار ، وعلى رأسهم اللواء (مراد) .

وكان استقبالًا حافلًا ، ذلك الذى استقبلوه به فى المطار ، وفى مقر إدارة العمليات الخاصة ، بعد القلق

وحالة الطوارئ التى فرضت على الإدارة منذ حادثة اختطافه .

أما بالنسبة للجنرال (بيتا) ، فبناء على الاتصال الذى نجح (ممدوح) فى إجرائه تليفونيًّا من البلد التى اجتاز حدودها ، كانت هناك سيارة خاصّة مسدلة الستائر ، وبها عدد من أفراد المخابرات المصرية والمكتب (١٩) فى انتظاره ، حيث قامت بنقله من المطار إلى (ڤيلا) خاصّة بمنطقة منعزلة .

وتمّ وضعه تحت حراسة مشدَّدة ، فى هذه الڤيلا ، لحين إجراء التحقيقات والتحريّات اللازمة ، بالنسبة له ، والنظر فى أمر الطلب الذى تقدّم به ، من أجل منحه اللجوء السياسىّ لمصر .

* * *

وبعد ثلاثة أيام من عودة (ممدوح) ، كان اللواء (مراد) يصحبه معه فى اجتماع خاص ، بإدارة المخابرات العامة مع مدير المخابرات المصرية .

قال لهما مدير المخابرات :

ــ إن التحرِّيات التى توصَّلنا إليها ، أثبتت وجود مبلغ ضخم من المال بالفعل باسم (ستان بيتا) ، وضع بأحد البنوك السويسرية تحت رقم سرِّىّ .. لكن هذا المبلغ ــ بالإضافة لقيام ذلك الجنرال بتهريب المقدم (ممدوح) ــ لا يعدُّ بالنسبة لى سببًا كافيًا ، للموافقة على منحه حق اللجوء السياسى .. فالجنرال (بيتا) كما تفيد التقارير الواردة عنه يُعَدُّ واحدًا من أنشط مسئولى المخابرات فى (أسترتان) ، وقدَّم لها العديد من الخدمات التى هى على درجة كبيرة من الخطورة والأهمية ، مما يجعلنى غير مقتنع بأنه من النوع الذى يمكن أن ينقلب على وطنه وجهاز المخابرات التابع له ، بمثل هذه السهولة .. وأعتقد أن الأمر يحتاج إلى المزيد من التروِّى والدراسة .

اللواء (مراد) :

ــ إنَّ لدى سيادتك أسبابًا وجيهة ، لعدم التسرُّع بإعطاء الموافقة على طلب (بيتا) منح حق اللجوء

السياسى .. لكنى أعتقد ــ وهذه وجهة نظرى ــ أنَّ الموافقة على منح (بيتا) ذلك الحق ، سيعود علينا بعدة فوائد :

(أولًا) أنه سيشجِّع غيره من الأعداء على اللجوء إلينا ، فى حالة ما إذا قرَّروا أن يتخلُّوا عن عدائهم ، ويتحوَّلوا إلى حلفاءٍ لنا .

(ثانيًا) أن هذا سيعتبر انتصارًا جديدًا لأجهزة الأمن المصرية ، على المخابرات (الأسترتانية) ، حيث إننا نكون بذلك قد قبضنا على جاسوس خطير لهم ، وهو (جريفز) ، وفى نفس الوقت حرمناهم مسئولًا كبيرًا له ثقله فى مخابراتهم .

(ثالثًا) أنه سيتيح لنا الحصول على المعلومات الهامَّة التى نريد أن نأخذها من (بيتا) ، والذى يصرُّ حتى الآن على عدم تقديمها قبل منحه اللجوء السياسى ..

المقدم (ممدوح) :

ــ هل تسمح لى يا أفندم ؟ .

اللواء (مراد) :

ـ تفضَّل يا (ممدوح) .

ممدوح :

ـ إننى من رأى السيِّد مدير المخابرات ، وأرى تأجيل الموافقة على طلب الجنرال (بيتا) .. فأنا نفسى أشك فى الطريقة التى قام هذا الرجل بواسطتها بعملية تهريبى إلى مصر .. لقد كان كل شىء يبدو وكأنه قد أعدَّ له مسبَّقًا ، ومنذ وقت طويل : تذاكر الطائرة ، الجوازات المزوَّرة ، كل هذا لايمكن تدبيره فى وقت قصير ، خلال الفترة المحدودة ، التى هربت فيها من سجنهم .. كما أن قرار إبعاد القوة التابعة لمخابرات (أسترتان) ، عن المنطقة التى كان يجب أن يتم حصارى فيها ، وهى المنطقة المحيطة بالكوبرى المعلَّق ، قرارًا لا يتحكَّم فيه مسئول واحد .. وإنما يتم بترتيبات مسبَّقة بين أكثر من مسئول .. وهناك أيضًا ذلك الطريق ، الذى قطعناه بالسيارة أنا والجنرال ، دون أن يتعرَّض لنا أى شخص طوال الطريق ، حتى قمنا باجتياز الحدود .. ألمْ يلفت نظرٍ باقى المسئولين فى جهاز المخابرات

(الأسترتانية) على نحو أو آخر ؟ إن الأمر يبدو لى مريبًا ، ويحمل فى طياته أمورًا خفيَّة قد نجهلها ، مما يجعلنى أحبِّذ فكرة التأنِّى ، فى الموافقة على منح ذلك الرجل اللجوء السياسى .

مدير المخابرات المصرية :

ـ أنا أيضًا تساورنى الشكوك .. فبالرغم من التفتيش الدقيق الذى أُجْرِىَ لذلك الرجل ، والتحقيقات التى أجريناها معه ولم تسفر عن شىء يدعو للريبة .. إلا أننى مازلت أشعر ببعض القلق تجاهه ..

اللواء (مراد) :

ـ إذن علينا أن نضعه تحت رقابة مشدَّدة ومتواصلة ، لمعرفة شىء عن نواياه .

مدير المخابرات :

ـ بل سنقلِّل من حجم الرقابة المفروضة عليه .

وقال له اللواء (مراد) مندهشًا :

ـ وكيف يتفق هذا مع شكوكنا حوله ؟ .

مدير المخابرات :

ــ إننى أعنى التقليل من الرقابة العلنية ، وأفراد الحراسة ، فمن الممكن مثلًا التخلّى عن الحراسة الداخلية ، والاكتفاء بالحراسة الخارجية للڤيلا المقيم بها ، مع الاعتماد بقدر أكبر على الرقابة الخفيَّة ، وأقصد بها أجهزة التصنُّت ، والدوائر التليفزيونية المغلقة ، وغيرها من الأجهزة الإلكترونية .. إن ذلك قد يعطيه قدرًا أكبر من حرية الحركة ، ويتيح لنا بالتالى معرفة شىء عن نواياه الحقيقية .

ممدوح :

ــ إننى أعتقد يا أفندم أن شخصًا مثل الجنرال (بيتا) ، باعتباره أحد كبار مسئولى المخابرات (الأسترتانية) ، وله خبراته العديدة كمحترف فى أعمال التجسُّس ، يعرف الكثير عن وسائل الرقابة السِّرِّيَّة ، وأجهزة التصنت الحديثة .. وبالتالى فلن يقع فى هذا الفخ بسهولة .

مدير المخابرات المصرية :

ــ ليس لدينا وسيلة أخرى سوى التأنّى والرَّقابة السِّرِّيَّة .

ممدوح :

ــ إننى أفكِّر فى شىء آخر ، وهو إعادة تفتيشه من جديد .

اللواء (مراد) :

ــ لقد تم تفتيشه بدقة وعناية بالغة ، ولم يسفر التفتيش عن شىء .

ممدوح :

ــ بقى شىء واحد لم نقم بتفتيشه .

اللواء (مراد) :

ــ وما هو ؟

ممدوح :

ــ حذاؤه ..

اللواء (مراد) بدهشة :

ــ حذاؤه !!

ممدوح :

ــ نعم .. لقد لاحظت أن كعب حذائه من النوع العالى ، برغم أن هذا النوع من الكعوب لم يعد سائدًا الآن ، كما أنه لا يتفق مع عمر الرجل .. هل تذكر سيادتك جهاز القفز لمسافات عالية ، الذى زوّدنى به الدكتور (سعيد) فى عملية (المدمّر) ؟ والذى أخفيته فى تجويف كعب حذائى .. وكذلك أجهزة التصنُّت ، ووسائل الاتصال ، التى تم إخفاؤها بنفس الطريقة فى عمليات أخرى ؟ . لماذا لا يكون ذلك الرجل قد اتبع نفس الأسلوب ؟ .

اللواء (مراد) :

ــ هل تقصد أنه ربما يكون قد أراد إدخال شىء ما إلى مصر ، مهرَّبًا فى كعب الحذاء ؟ .

مدير المخابرات :

ــ هذا احتمال وارد .

وأردف اللواء (مراد) قائلًا لـ (ممدوح) :

ــ عليك أن تتحقَّق منه بنفسك .

* * *

١٠ ــ العملية الكبرى ..

انتهز (ممدوح) فرصة نوم الجنرال (بيتا) ، وتسلَّل إلى غرفته فى ساعة متأخِّرة من الليل ، حيث استطاع أن يحصل على حذائه .. وبالاستعانة ببعض الوسائل الخاصَّة التى كانت معه تمكَّن من نزع نعل الحذاء والكعب .

وأيقن (ممدوح) أن شكوكه كانت فى محلِّها .. ففى فردة الحذاء اليمنى ، وجد جواز سفر هولنديًّا مزوَّرًا ، مختفيًا أسفل نعل الحذاء من الداخل .. وفى أحد الكعبيْن كان هناك مبلغ من المال ، تم دسُّه بعناية فى تجويف الكعب ، أما تجويف الكعب الآخر فقد كان به جهاز صغير الحجم غريب الشكل .

وأعاد (ممدوح) الحذاء إلى مكانه بعد أن استولى على الأشياء التى عثر عليها ، وأسرع بمغادرة الفيلا ، ليستقل السيارة التى كانت فى انتظاره فى الخارج ، عائدًا لمكتبه

بإدارة العمليات الخاصة . وقام الخبراء فى الإدارة ، وعلى رأسهم الدكتور (سعيد) بفحص الجهاز الصغير ، الذى أحضره (ممدوح) .

وفى النهاية قدم الدكتور (سعيد) تقريره إلى اللواء (مراد) ، قائلًا :

ــ إن هذا الشىء الصغير الحجم ، ليس سوى جهاز تفجير دقيق ، يعمل بالذبذبات الإلكترونية ، حيث إن اليد العلوية التى تراها سيادتك ، تتحرَّك حركة ضئيلة إلى أعلى كل عشر دقائق ، وعندما تمر ستون دقيقة كاملة ، تصل هذه اليد إلى أقصى ارتفاع لها ، ويكون هذا المؤشِّر قد أعطى ذبذبات من نوع معيَّن ، إلى قنبلة من طراز مهيَّأ لاستقبالها ، لمسافة قد تصل إلى عشرة كيلو مترات ، فتقوم بالانفجار ..

وتراجع اللواء (مراد) فى مقعده ، قائلًا لـ (ممدوح) :

ــ إذن فهذا الرجل ينوى تفجير قنبلة فى مكان ما .

ممدوح :

ــ إن الأمر قد أصبح واضحًا يا سيادة اللواء .. فذلك الجنرال كان ينوى حال منحه اللجوء السياسى ، وإعطائه قدرًا أكبر من حرِّية الحركة داخل البلاد ، أن يستخدم هذا المفجِّر الزمنىّ ، بعد ضبطه على توقيت معيَّن ، ليقوم بعمله خلال ساعة فى تفجير قنبلة ما على مسافة معيَّنة .. وخلال هذه الساعة يكون قد استغل براعته فى التنكُّر ، وبما يتناسب مع هذه الصورة الزائفة فى جواز السفر الهولندى المزوَّر ، لمغادرة مصر فى هدوء ، فى الوقت الذى تكون فيه القنبلة قد أدَّت مهمتها .. من الواضح أنه قد حضر لمصر بغرض التخريب ، وليس هروبًا من قضية أموال مهرَّبة ، ومخالفات مالية كما يدَّعى ..

اللواء (مراد) :

ــ المشكلة التى نواجهها الآن .. هى مكان وجود هذه القنبلة ..

هل يمكننا تحديد موقعها يا دكتور (سعيد) ؟ .

الدكتور (سعيد) :

ــ ذلك أمر غاية فى الصعوبة .. وخاصَّة بالنسبة لهذه النوعيَّة من القنابل .

اللواء (مراد) :

ـــ إذن نواجهه بالحقيقة ، ونجبره على الاعتراف بمكانها .

ممدوح :

ـــ قد يكون فى ذلك نوعٌ من المخاطرة .. فمن المحتمل أن يصرَّ على الرفض ، وقد يكون هناك جهاز تفجير آخر من نفس النوعيَّة فى مكان ما .. أهم شىء الآن ، هو أن أعيد تلك الأشياء إلى مكانها قبل أن ينقضى الليل ، ويكشف (بيتا) أننا عرفنا سرَّه .. وفى أثناء ذلك تكون سيادتك قد اتصلت بالسيد مدير المخابرات لإطلاعه على ما توصَّلنا إليه .. وبعد ذلك نقرِّر ما نفعله بهذا الشأن .. وإن كنت أقترح أن يظل ذلك الجنرال تحت المراقبة الدقيقة والمستمرة .. فربما أدَّى ذلك إلى معرفة أى شىء عن مكان اختفاء القنبلة .

اللواء (مراد) :

ـــ ليكن .. ستنقلك السيارة الآن إلى الفيلا التى يقيم

بها على وجه السرعة ، وعليك أن تكون حذرًا ، وأنت تعيد هذه الأشياء إلى مكانها .

* * *

عاد (ممدوح) ليتسلل من جديد إلى غرفة الجنرال (بيتا) ، حيث قام مستخدمًا أدواته بنزع نعل الحذاء والكعب ، ليعيد جواز السفر ، والنقود ، والمفجِّر ، فى أماكنها .

وبينما (ممدوح) يقوم بذلك ، مطمئنًا أن (بيتا) غارق فى نومه بالحجرة الأخرى .. إذا به يجد باب الغرفة يفتح فجأة ، ليضاء المكان .. وإذا بالجنرال يدخل عليه حاملاً مسدسه ، الذى صوَّبه إليه قائلاً :

ـــ يبدو أننى لَمْ أقدِّرك حق قدرك أيها المقدَّم .. فقد كنت من الذكاء بحيث كشفت جزءًا كبيرًا من اللُعبة .

قال له (ممدوح) محاولاً رسم ابتسامة على وجهه :

ـــ بل قل اللُعبة كلها .

كان (ممدوح) فى أثناء ذلك جاثيًا على ركبتيه ، وهو

يحاول إعادة الأشياء إلى مكانها فى حذاء الجنرال : فحاول أن ينهض من مكانه ..

ولكن (بيتا) قال له ، وهو يصوِّب إليه فوّهة المسدس :

ـــ أنصحك أن تظل على هذا الوضع ، وإلا عجَّلت بموتك ، وأريد أن أحذرك .. فعندما كشفت اختفاء معداتى من الحذاء اتخذت قرارًا بإبدال الخطَّة ، والتصرُّف سريعًا .. فبالنسبة لكاميرات التصوير الخفيَّة ، وأجهزة التصنُّت لم تكن مشكلة بالنسبة لمحترف مثلى ، فقد استطعت إفساد عملها بفصل بعض الأسلاك .. وهذا المسدس المزوَّد بكاتم للصوت ، أخذته من الحارس الوحيد الذى تركتموه معى داخل الڤيلا ، بعد أن تخلَّصت منه .. إذن لم يعد هنا سوانا .. أنا وأنت .. ، وهذا المسدس ، الذى تعرف بالطبع كيف يمكن لجنرال بالمخابرات أن يستخدمه ؟

حاول (ممدوح) أن يماطل لكسب مزيد من الوقت ، فقال للجنرال متظاهرًا بالاستسلام :

ـــ حسنًا .. إننى أعترف بتفوُّقك الآن مؤقتًا .. ولكنك نسيت أنهم سيكتشفون الآن أنك قد عطلت أجهزة المراقبة ، وهذا يقلقهم .. ثم إننا الآن قد أصبحنا نعرف لُعبتك ، فمن أدراك أننى قد جئت إلى هنا وحدى .. صدّقنى أنك الآن فى مأزق حقيقى .. ربما يكون من الأفضل لك أن تستسلم ، وتبدأ فى الاعتراف بتفاصيل لُعبتكم ، فذلك سيكون موضع اعتبار عند محاكمتك .

ابتسم الجنرال بسخرية قائلًا :

ـــ إنك ساذج لو ظننت أننى أفعل ذلك ، مثلما كنت ساذجًا من البداية ، عندما ظننت أننا نسعى حقًّا لتبادل العملاء ، وتسليمك لمصر فى مقابل استعادة (جريڤز) .. فالعميل الذى يسقط يصبح بالنسبة لنا ورقة مكشوفة ، عديمة الفائدة ، ولا أهمية له .. لكننا أوحينا إليك وإلى جهازكم الأمنى بذلك ، ولولا غباؤك لكنت قد وفرت على نفسك متاعب كثيرة تعرَّضت لها بعد هروبك من السجن .. فقد كانت خُطَّتنا فى البداية تقضى بأن أتظاهر

بمساعدتك على الفرار من السجن . بعد إدلائك بالمعلومات ، التى كان يطلبها (ماكس) ، فى مقابل الحصول على اللجوء السياسى .. ولكن هروبك الذى لم نكن نتوقَّعه جعلنى أنفِّذ هذه الخطَّة ، فى المكان الذى عثرنا عليك فيه .. وكنا نعرف أنك لن تستطيع أن ترفض العرض الذى قدَّمته لك ، وأنك ستوافق على تهريبك إلى مصر ، مقابل أن أصحبك إليها ، والباقى أصبحت الآن تعرفه .. فمعى مفجِّر ، وهناك قنبلة ما ستنفجر فى توقيت ما وفى مكان ما .

ممدوح :

ــ وما الذى يمكن أن يحقِّقه لكم انفجار قنبلة ما فى مكان ما ؟

الجنرال :

ــ إن هذا يتوقَّف على نوع المكان الذى ستنفجر فيه .. فمخابراتنا تعتمد على سمعتها فى فرض نفوذها بالداخل والخارج ..

والقبض على عميل هام مثل (جريفز) ، وظهور صوره فى الجرائد ، وما يمكن أن يقدمه لكم من معلومات ، تؤدى إلى اهتزاز هذه السمعة ، ويعنى تحقيق نجاح لكم مقابل فشل لنا .. لذلك كان لابدَّ من الردِّ على ذلك بعملية أكبر وأقوى .. عملية تعيد لمخابرات (أسترتان) سمعتها وتفوُّقها .. عملية مثل تدمير جهاز أمنى خطير ، له سمعته هو الآخر ، كإدارة العمليات الخاصَّة ، أو المكتب (١٩) كما تدعونه .

وحاول (ممدوح) أن يخفى دهشته وانفعاله ، عندما سمع باسم المكان المراد تدميره ، وأن يتظاهر بأنه كان يعلم بذلك ، فقال له وهو يهزُّ كتفيه :

ــ والآن وقد عرفت خُطَّتكم ..

الجنرال :

ــ الآن أرى أنه قد أصبح من الصعب تنفيذها فى الوقت الحاضر ، فلابدَّ أن أغادر هذا المكان متنكرًا بعد عدَّة دقائق ، وقبل أن يطبق زملاؤك على الفيلا .. لكن يمكن إدخال بعض التعديل على الخطَّة الأصلية ، لتحقيق هدف أصغر .

ممدوح :

ـ تُرى ماذا سيكون هدفك الأصغر ؟ .

قال له الجنرال ، وقد بدأ يحرّك الزّناد :

ـ قتل مقدّم له أهميته مثلك ، ومن نفس الإدارة التى كنا نبغى تدميرها .. لقد كنت سببًا فى فشل عدد من عملياتنا السابقة ؛ لذا سيكون قتلك ردًّا مناسبًا فى الوقت الحاضر ، وأفضل بكثير من مسألة المبادلة بـ (جريڤز) .. وداعًا أيها المقدم الذكىّ ..

* * *



١١ ـ الصراع الأخير ..

كان (ممدوح) لا يزال جاثيًا على ركبته بالقرب من حافة السرير ، وقد نضح العرق على وجهه ، وهو يرى إصبع الجنرال تضغط على الزّناد ببطء ..

وقرّر أن يتصرّف سريعًا لحسم الموقف ؛ فأمسك بطرف السجادة التى يقف عليها (بيتا) وجذبها بقوة ، أخلت بتوازنه ، وجعلته يسقط فوقها ..

وبخفة النمر ، وقوة انقضاضه قفز (ممدوح) من مكانه ليجثم بثقل جسده فوق (بيتا) ، ويده تمسك بمعصمه بقوة ، لتحول بينه وبين المسدس ، الذى سقط إلى جواره ، والذى كان يحاول أن يلتقطه بأطراف أصابعه .

ودار صراع مرير بين الرجلين ، تمكّن (ممدوح) خلاله من توجيه لكمة قوية إلى فكّ (بيتا) ، ولكنها لم تقض على مقاومته نهائيًا ، فقد أمسك بأكتاف (ممدوح) واضعًا

قدميه فى بطنه ، ليلقى به إلى الخلف متخلّصًا منه .

وحاول أن يصل إلى المسدس من جديد ، لكن (ممدوح) كان قد استطاع أن ينهض من سقطته سريعًا ، ليقف على قدميه ، موجّهًا ضربة قوية إلى وجه (بيتا) ، جعلته يتراجع إلى الخلف . وهجم عليه (ممدوح) من جديد ليتبادل معه اللكمات .

كان الرجل قويًّا ومحترفًا مثل (ممدوح) ؛ لذلك لم تكن المعركة بينهما سهلة .. فقد كان كل منهما يحاول أن يتفادى لكمات الآخر ببراعة .. أما تلك التى كانت تصل إلى فكّ أحدهما ، فقد كانت تهوى عليه كالمطرقة .

واستطاع (الجنرال) أن يستغل ضعف مقاومة (ممدوح) ، إثر لكمة قوية وجّهها إليه ، ليطبق بيده على عنقه بقوة .

وشعر (ممدوح) بأنفاسه تختنق ، وقصبته الهوائية على وشك الانفجار ، تحت ضغط أصابع الرجل الفولاذية .. ولكنه استطاع بآخر ما أوتى من قوة ، وبكل ما لديه من



فأمسك بطرف السجادة التى يقف عليها (بيتا) وجذبها بقوة ، أخلت بتوازنه ، وجعلته يسقط فوقها ..

عزيمة ، أن يتخلَّص من تلك الأصابع ، مستخدمًا إحدى حركات مصارعة الجودو ، التى اكتسبها من التدريبات السابقة ؛ فقد أمسك بمعصمى (بيتا) ، واستطاع بالضغط عليهما بأصابعه إلى الخلف ، بعد أن غرس أظفاره بقوة فى الشرايين أن يتخلَّص من تلك الأصابع ، التى كادت تخنقه ، ولم يكد ينجح فى تحرير رقبته ، حتى وجَّه لخصمه لكمة قوية للغاية ، أودعها كل قوته ، لتكون اللكمة الأخيرة ، التى أطاحت بالجنرال ، وقضت على مقاومته ، فسقط على الأرض فاقد الوعى .

وبينما (ممدوح) يلتقط أنفاسه إثر المجهود الهائل الذى بذله ، تناهى إلى سمعه صوت محرّكات سيارات تقترب بالخارج .

وفى اللحظات التالية كان اللواء (مراد) يقتحم المكان ومعه رجاله .

* * *

قال (ممدوح) للواء (مراد) ، فى أثناء جلوسه معه فى حجرة مكتبه :

— هل توصَّلتم إلى مكان القنبلة ، التى كان ينوى (الجنرال) تفجيرها ؟.

اللواء (مراد) :

— نعم .. لقد أجبرناه على الاعتراف .. وسوف تندهش للغاية إن لم تصب بالهلع ، عندما تعرف مكان القنبلة ..

وضحك (ممدوح) قائلًا :

— لماذا ؟. هل هى مخفاة بدرج مكتبى ؟.

ابتسم اللواء (مراد) قائلًا :

— بل أقرب من ذلك بكثير .. إنها تختفى تحت جلدك ..

وامتقع وجه (ممدوح) ، وبانت على قسماته أمارات الدهشة الشديدة ، وهو يسمع ذلك .. فى حين استأنف اللواء (مراد) :

— ألَمْ أقل لك إنك ستندهش ؟ لقد استغلُّوا فرصة تخديرك فى اليونان ، وظلوا يحقنونك بجرعات مخدِّرة متتالية ،

ليقوموا بإجراء عملية جراحية صغيرة لك .. وقد استطاعوا بواسطة هذه العملية ، أن يدسُّوا لك قنبلة دقيقة الحجم ، تحت الجلد مباشرة ، وخلف الأذن .

ووضع (ممدوح) يده خلف أذنه فى حركة تلقائية .

اللواء (مراد) :

ـــ لقد أخفوا معالم العملية ، بعد أن أعقبوها بعملية تجميل أخرى ، أخفت معالمها .. كان (بيتا) ينوى استغلال فرصة معرفته على وجه التحديد ، بموعد ذهابك إلى إدارة العمليات الخاصّة .. ليقوم باستخدام المفجّر فى تفجير هذه القنبلة ، التى برغم صغر حجمها ، تحتوى على مواد ناسفة ، تكفى للإطاحة بنصف هذا المبنى على الأقل ، وبذلك يضمن أن يتخلّص منك ومنّى ، ومن معظم رجال الإدارة فى خبطة واحدة .. عملية كبرى تحقق لمخابرات (أسترتان) نصرًا ساحقًا ، يحققونه على أشلائنا .

قال (ممدوح) بانفعال ، وهو يضغط على أسنانه :

ـــ الأوغاد .

اللواء (مراد) :

ـــ اطمئن ، فهذه القنبلة ليست لها أية خطورة ، طالما المفجّر فى خوزتنا .. وعملية استخراجها بسيطة ، ولا تحتاج إلى الكثير من الوقت .. لقد حجزنا لك جناحًا خاصًّا بأحد المستشفيات ، وسوف تجرى لك عملية استخراج القنبلة غدًا .

قال (ممدوح) بقلق :

ـــ أرجو أن تكون سيادتك مطمئنًا ، لعدم فشل مثل هذه العملية ..

فابتسم اللواء (مراد) قائلًا :

ـــ لا تقلق .. فالفشل الوحيد الذى سينتج من إجرائها ، سيكون من نصيب مخابرات (أسترتان) .. وبالمناسبة .. لقد بقيت لك عندى ثلاثة أيام من الإجازة التى منحتها إياك من قبل ، وأفسدها عليك عملاء (أسترتان) .. وأنا أعدك بأنك ستحصل عليها بعد الانتهاء من العملية ، بشرط أن تقضيها فى مصر .. وليس فى أثينا .

وفهم (ممدوح) مغزى الدعابة .. فانفجر الرجلان فى الضحك ..

* * *

رقم الإيداع : ٣٦٢٠

المطبعة العربية الحديثة
٨ شارع ٤٧ بالمنطقة الصناعية بالعباسية
القاهرة - تليفون ٨٢٦٢٨٠

المؤلف



ا . شريف شوق

إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
سلسلة روايات
بوليسية للشباب
من الخيال العلمى

● العمليـــة الكـــبرى ●

ولم يدع له (ممدوح) الفرصة .. فقد تشبَّث بالإطار العلوى للباب ، وبحركة من حركات الجمباز رفع قدميه بزاوية قائمة ليطلقهما إلى داخل (كابينة) السائق ، مسدِّدًا له ضربة عنيفة فى وجهه ، وأتبع ذلك بأن انساب بجسده بأكمله داخل (كابينة) القيادة ، وسدَّد له لكمة أخرى هائلة ، جعلت عينيه تدوران فى محجريهمـــا ..

العدد القادم : (جواهر المهراجا)

قرش جنيه
١٠٠

التمن فى مصر ...
وما يعـادل دولارا أمريكيا
فى سائر الدول العربية والعالم